دلائل الحق

أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

المجموعة السادسة



إعداد

مركز الدليل العقائدي



مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

برعاية مؤسسة أم أبيها الخيرية الثقافية

المؤلف: السيد مهدي الموسوي الجابري

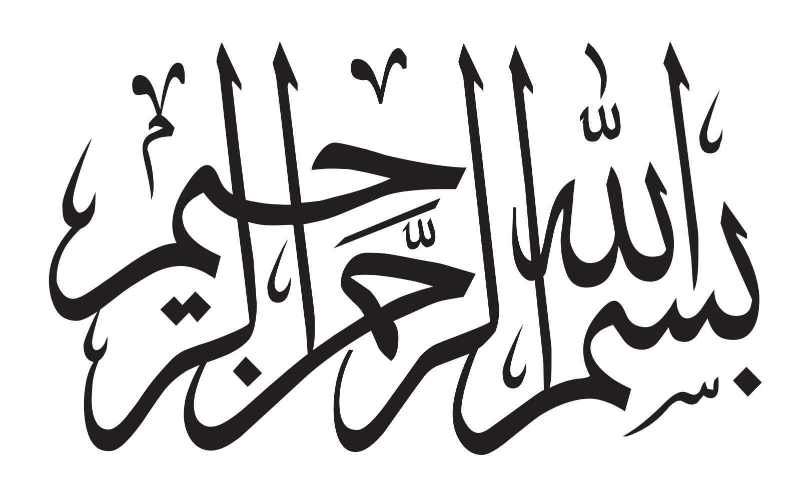
التدقيق والتصحيح اللغوي: الشيخ تحسين غازي البلداوي

التصميم والإخراج الفني: صفاء أحمد ثامر الشمري

محمد مهدي عبد الإله الجابري

سنة الطبع: ٢٠٢٢ م / ١٤٤٤هـ/ النجف الأشرف

طباعة وتجليد: مركز الدليل العقائدي



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبِناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس ﷺ حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند

(١) فصلت: ٣٣.

جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاءت المجموعةُ السادسة من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتبِ تحت عنوان (دلائل الحق)، آملين أنْ تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينِكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أنْ تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أنْ تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيها ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

ونسأل الله أنْ يَجمعَ شمْل المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُلْفتِهم، ويجنِّبهم شرّ التطرُّف والمتطرِّفين، وشرّ الكفّارِ والملحدين، وأنْ تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الكفّار والمنافقين هي السُّفلى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

عليٌّ عليه السلام قال: «سلوني» وغيره قال: «قوّموني»

المستشكل: أحمد عبد اللطيف

الإشكال: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء؛ فإني أعرَف بها من طرق الأرض» هذا الحديث المذكور عن عليّ كذبٌ ظاهر، لا تجوز نسبة مثله إلى عليّ؛ فإن عليًّا أعلم بالله وبدين الله، ولو سلّمنا بصحته، فإنه لم يقل ذلك للصحابة الذين هم أقرانه في العلم، وإنما قاله في آخر عهده، لما انتقل إلى العراق، فدخل في الدين من لم يتفقه فيه، فاحتاج الناس إلى علمه، فكان يحثهم على السؤال والتفقه.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين.

إنّ من الثابت قول عليّ عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» وهو أشهر من أن يحصي نقله متتبِّع، حتى عُدَّ من خصوصياته عليه السلام في أيامه، وقد نقله كثيرٌ من الرواة والمحدِّثين، وقد عد الحاكم النيسابوري الحديث صحيحًا وعاليًا بنقل أبي الطفيل عامر بن واثلة، حيث قال: «أخبرني أبو جعفر محمد بن علي الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا أبو نعيم، ثنا بسام الصيرفي،

ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة، قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه، قام، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء، فقال: «مَن الذين بدلوا نعمة الله كفرًا، وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال: منافقو قريش، قال: فمن الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ؟ قال: منهم أهل حروراء» «هذا حديث صحيح عالٍ» «وبسام بن عبد الرحمن الصيرفي من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثهم، ولم يخرجاه»[(١)].

وأخرج ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله): «حدثني أحمد بن فتح، نا حمزة بن محمد، نا إسحاق بن إبراهيم، نا محمد بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال: "شَهِدت عليًّا رضي الله عنه، وهو يخطب، ويقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إِلَّا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما منه آية إِلَّا وأنا أعلم بليلٍ نزلت أم بنهار أم بسهل أم بجبلٍ..."»، قال محقق الكتاب أبو الأشبال الزهيري: إسنادُهُ صحيحٌ. ورجاله ثقات[(٢)].

وأخرج الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه): «أناه أبو الحسين: أحمد بن عمر بن روح، وأبو عليّ: الحسن بن فهد النهروانيان بها، قالا: أنا أبو الحسين: محمد بن إبراهيم بن سلمة الكهيلي -بالكوفة-، أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، نا إسحاق بن إبراهيم المروزي، نا عبد الرزاق، نا معمر، عن وهب بن عبد الله بن أبي دُبيٍّ، عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليًّا، وهو يخطب، وهو يقول: "سلوني، والله لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ٣٨٣، ح٣٣٤٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٣٨٣، ح٧٢٦.

يوم القيامة إلا حدثتكم به"»، قال محقق الكتاب عادل بن يوسف العزازي: إسناده صحيح[(١)].

وقد اتفق العلماء والمحدِّثون على أنه، انفرد عليّ عليه السلام من بين الخلق بهذا الإعلان، وما قاله أحد سواه:

فابن كثير، يقول في تفسيره: «وثبت أيضًا من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة، فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنبأتكم بذلك»[(٢)].

وابن تيمية، في سؤال وجه له، نصه: «وهل هذا صحيح عن علي أنه قال: اسألوني عن طرق السماء، فإني أعرف بها من طرق الأرض؟

فأجاب: «وأما قوله: (اسألوني عن طرق السماء) فإنه قاله، ولم يُرِد بذلك طريقًا للهدى، وإنما يريد بمثل هذا الكلام الأعمال الصالحة التي يتقرب بها، والله أعلم»[(٣)].

وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، في شرح كلام الإمام عليّ عليه السلام: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، قال: «أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء: سلوني. غير علي بن أبي

(١) الفقيه والمتفقه، ص٧١٠، ح١٠٨١.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٧، ص٤١٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤٩٥.

طالب عليه السلام، ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب، والمراد بقوله: فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيما في الملاحم والدول»[١].

وأما قولك: «ولو سلّمنا بصحته، فإنه لم يقل ذلك للصحابة الذين هم أقرانه في العلم، وإنما قاله في آخر عهده، لما انتقل إلى العراق».

فيجاب عنه:

هذا قول باطل، لا أساس له من الصحة جملةً وتفصيلًا؛ لأن غالب علم الإمام علي عليه السلام، كان بالمدينة لا بالعراق، فإن رجوع أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة إليه في المعضلات والمشكلات كان بالمدينة، وأمّا في العراق فلم يتفرّغ للتعليم والإرشاد، لاشتغاله عليه السلام فيه غالبًا بما يتعلّق بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وعلم عليّ عليه السلام واضح مشهور بين الصحابة آنذاك، دلت عليه جملة من الأحاديث النبوية، منها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وهو حديث مشهور صحيح إن لم نقل: متواتر، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير[٢] من الجامع الصغير للحافظ السيوطي، وحكاه الذهبي في تذكرة الحفاظ[٣]، وقال

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٩٦.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ص١٠٧.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج٤، ص٢٨.

فيه: صحيح، وأخرجه الحاكم في مناقب عليّ عليه السلام[١]، أحدهما عن ابن عباس من طريقين صحيحين، والآخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وقد أقام على صحة طرقه أدلة قاطعة، وأفرد أحمد بن محمد المغربي نزيل القاهرة لتصحيح هذا الحديث كتابًا حافلًا، سماه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) وقد طبع سنة ١٣٥٤ هـ بالمطبعة الإسلامية -الأزهر- مصر.

وهذا الحديث يدلنا بوضوح على وفور علم الإمام عليّ عليه السلام، واستحضاره أجوبة الوقائع واطلاعه على شتات العلوم والمعارف، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وفيه دلالة على أنه عليه السلام الإمام لهذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه الباب لتلك العلوم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «فمن أراد العلم فليأتِ الباب» كنايةٌ عن الحافظ للشيء الذي لا يشذّ عنه شيء، ولا يخرج منه، ولا يدخل إلّا به[٢].

ويقول المناوي في (فيض القدير) واصفًا علم الإمام عليّ عليه السلام: «قد علم الأولون والآخِرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم عليّ، ومن جهل ذلك فقد ضل عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء»[٣].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٦.
(٢) ينظر: رد على السقيفة، ص٢٣٣.
(٣) فيض القدير، ج٣، ص٤٦.

آية صريحة في ظهور الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان

المستشكل: أبو ذر فارس

الإشكال: صدعتم رؤوسنا بالمهدي والمهدي، وأنه سيظهر، ويحقق العدل الإلهي، فمثل هذه المسألة البارزة، لماذا لم نجد لها عين ولا أثر في القرآن الكريم؛ فلماذا لم ترد آية صريحة في المهدي المنتظر لنؤمن بها؟! وطالما لم نجد آية واحدة في القرآن فلنا الحق في إنكاره.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إذا أمعنت النظر في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ الوارد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم (التوبة[1]، الفتح[2]، الصف[3])، والأحاديث النبوية الواردة في الصحاح، وأقوال المفسرين من علمائكم، وجدت أنهم يفسرون الآية

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) الفتح: ٢٨.

(٣) الصف: ٩.

الكريمة بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فالطبري في تفسيره للآية الكريمة يقول: «عن أبي هريرة في قوله: ليظهره على الدين كلّه قال: حين خروج عيسى ابن مريم»[(١)].

وفي سنن البيهقي: «عن جابر بن عبد الله في قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» قال خروج عيسى ابن مريم»[(٢)].

وخروج عيسى عليه السلام معلوم أنه يكون عند ظهور المهدي عليه السلام، الأمر الذي يشهد به البخاري وغيره، فقد روى البخاري في صحيحه: «عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أنَّ أبا هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[(٣)].

وقال ابن حجر في "الفتح": «وكلّهم - أي المسلمون - ببيت المقدس، وإمامهم رجلٌ صالح، قد تقدّم ليصلّي بهم إذ نزل عيسى، فرجع الإمام ينكص ليتقدّم عيسى، فيقف عيسى بين كتفيه، ثمَّ يقول: تقدّم فإنّها لك أقيمت. وقال أبو الحسن الخسعي الآبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأنَّ المهديَّ من هذه الأمة، وأنَّ عيسى يصلي خلفه»[(٤)].

وفي تفسير الفخر الرازي: «روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: هذا وعد من الله بأنّه تعالى يجعل الإسلام عاليًا على جميع الأديان.

---

(١) تفسير الطبري، ج١٠، ص١٥٠.
(٢) السنن الكبرى، ج٩، ص١٨٠.
(٣) صحيح البخاري، ج٤، ص١٤٣.
(٤) فتح الباري، ج٦، ص٤٩٣.

وتمام هذا إنّما يحصل عند خروج عيسى، وقال السدّيّ: ذلك عند خروج المهديّ، لا يبقى أحد إلّا دخل في الإسلام أو أدّى الخراج»[١].

وعن القرطبي في تفسيره: «قال أبو هريرة والضحاك: هذا عند نزول عيسى عليه السلام. وقال السديّ: ذاك عند خروج المهديّ، لا يبقى أحد إلّا دخل في الإسلام أو أدّى الجزية. وقيل: المهديّ هو عيسى فقط، وهو غير صحيح؛ لأنَّ الأخبار الصحاح قد تواترت على أنَّ المهديّ من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز حمله على عيسى»[٢].

وقال أيضًا: «إنَّ جميع ملوك الدنيا كلّها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وإسكندر، والكافران نمروذ وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وهو المهديّ»[٣].

وقال الآلوسي في تفسيره: «إنَّ تمام هذا الإعلاء عند نزول عيسى عليه السلام، وخروج المهديّ رضي الله تعالى عنه حيث لا يبقى حينئذ دين سوى الإسلام»[٤].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) تفسير الرازي، ج١٦، ص٤٠.
(٢) تفسير القرطبي، ج٨، ص١٢٢.
(٣) تفسير القرطبي، ج١١، ص٤٨.
(٤) تفسير الآلوسي، ج١٣، ص٢٧٥.

لا يلزم أن يكون المعصوم نبيًّا أو إمامًا دائمًا

المستشكل: رافد محمد

الإشكال: سلّمنا أن أئمتكم معصومون؛ لأن شرط تبليغ الأحكام أن يكون المبلِّغ معصومًا على مبانيكم، ولكن ما الغاية من عصمة فاطمة رضي الله عنها طالما أنها ليست إمامةٌ من الأئمة؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لا يلزم أن يكون المعصوم نبيًّا أو إمامًا دائمًا، فقد تمنح العصمة لأشخاص يراد لهم أن يكونوا أوعية طاهرة لحجج الله كما هو الحال في مريم عليها السلام. قال تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

(١) آل عمران: ٣٦.

﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وفاطمة عليها السلام أفضل من مريم بالاتفاق، لما ورد في كتب المسلمين جميعهم بأنها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء الأمة، وسيدة نساء المؤمنين، وسيدة نساء أهل الجنة.

روى الحاكم في مستدركه، بسنده عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: «يا فاطمة، ألا ترضَين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين؟»، ثم عقبه الحاكم بقوله: هذا إسناد صحيح، ولم يخرِّجاه هكذا[٢].

وقال العلامة الآلوسي في تفسيره روح المعاني: «والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم، بل ومن حيثيات أُخَر أيضًا، ولا يعكّر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أن يراد بها أفضلية غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات -وبه يجمع بين الآثار- وهذا سائغٌ على القول بنبوة مريم أيضًا؛ إذ البضعيّة من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابَل بشيء، وأين الثريا من يد المتناول، ومن هنا يُعلم أفضليتها على عائشة»[٣].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) آل عمران: ٤٢.
(٢) المستدرك للحاكم، ج٣، ص١٧٠.
(٣) روح المعاني، ج٢، ص١٥٠.

دعوى عموم مصطلح «أهل البيت» مرتبطة بالتوظيف السياسي والمذهبي

المستشكل: شعبان محمد

الإشكال: لماذا يصر الرافضة على أن مصطلح "أهل البيت" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣]، خاص بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فأين نساء النبي صلى الله عليه وسلم؟ وأين كل من حرُمتْ عليه الصدقة من بني هاشم، هذا الكلام يخالف سُنّة الرسول قولًا وعملًا، ويخالف كتاب الله حكمًا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن دعوى عموم مصطلح «أهل البيت» مرتبطة بالتوظيف العنصري والسياسي والمذهبي، فأتباع مدرسة الصحابة يصرون على أن هذا المصطلح يعمّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الإصرار ليس وليد الآونة، فقد كان له سوابق كثيرة، تمتد جذورها عميقة في أغوار الزمان، وما

إصرار هؤلاء اليوم إلا فرعٌ من أغصانِ تلك الشجرة الخبيثة، ودونك ما ينقل عن عكرمة الخارجي مولى عبد الله بن عباس، أنه كان يصرّ على أنّ آية التطهير نازلة في خصوص أزواج النبي ﷺ، حتّى أنّه كان يمشي في الأسواق، ويعلن عن هذا الرأي، ويخطّئ الناس باعتقادهم باختصاص الآية المباركة بأهل البيت، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ممّا يدلّ على أنّ الرأي السائد عند المسلمين آنذاك كان هذا الرأي، حتّى أنّه كان يقول: من شاء باهلته في أنّ الآية نازلة في أزواج النبي خاصّة، وفي تفسير الطبري: «عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة»[1].

وفي تفسير ابن كثير، أنّه كان يقول: «من شاء باهلته أنّها نزلت في نساء النبي خاصّة»[2].

وفي الدر المنثور، كان يقول: «ليس بالذي تذهبون إليه، إنّما هو نساء النبي»[3].

ذلك لأن عدم دخولهم وشمولهم في الآل يعود عليهم بالنقض في أصول مذهبهم، ويؤدي إلى حرمانهم من فوائد وعوائد التوظيف السياسي والمذهبي.

(١) تفسير الطبري، ج٢، ص٢٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ج٦، ص٤١١.
(٣) الدر المنثور، ج٥، ص١٩٨.

فدعوى عموم مصطلح «أهل البيت» لم يكن بسبب غموض النصوص الشرعية وعدم وضوح دلالتها، بل إن السبب الأساس في ذلك هو العصبية المذهبية والأهواء المضِلَّة، فضلًا عن العداء السافر لعليّ وآل عليّ عليهم السلام.

وللتنبيه قبل الجواب، نقول: إن تعليم القرآن وبيانه للناس كان من الوظائف الرئيسة الملقاة على عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(١)، فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بمراد الله عز وجل من دون شك وريب في ذلك، كما لا يخفى على مسلم.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عيَّن المراد من أهل بيته قولًا وعملًا عند نزول آيتين مباركتين:

الأولى: آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢).

فمن المعلوم أن لدينا مفهومًا عامًّا باسم «أهل البيت» يندرج تحته كل من حرمت عليه الصدقة من بني هاشم، ولكن مفهوم أهل البيت في آية التطهير مفهوم خاص بأولئك الذين جلّلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكساء، ودعا لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل البيت، فأذهب عنهم

---

(١) البقرة:١٥١.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

الرجس، وطهرهم تطهيرًا» وقد خاطبهم بالآية الكريمة، وذلك للنصوص الصريحة والصحيحة التي تثبت تخصيص مفهوم أهل البيت في آية التطهير بهؤلاء فقط عليهم السلام، فقولُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم هؤلاء أهل البيت»، وفعلُه بإدخالهم تحت الكساء حدّدا مصاديق أهل البيت، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقد روى أحمد في مسنده وغيره بأسانيد ثلاثةٍ، شهد الشيخ شعيب الأرنؤوط بصحتها[١]، أنه عند نزول هذه الآية المباركة جلّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا وفاطمة والحسن والحسين بكساءٍ له، وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي".

وقال ابن تيمية في منهاج السنة: «وأما حديث الكساء فهو صحيحٌ، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلمٌ في صحيحه من حديث عائشة. قالت: «خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات غداةٍ، وعليه مرطٌ مرحّلٌ من شعرٍ أسود، فجاء الحسن بن عليّ، فأدخله، ثم جاء الحسين، فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء عليٌّ، فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[٢].

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول: «قد ورد بالدليل الصحيح أنها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسنين»[٣].

وقال أحمد بن محمد الشامي في جناية الأكوع: «وقد أجمعت أمهات

(١) انظر: مسند أحمد، ج٤٤، ص١١٩.
(٢) منهاج السنة، ج٥، ص١٣.
(٣) إرشاد الفحول، ج١، ص٢٢٢.

كتب السنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير النبي ﷺ وعليٌّ وفاطمة والحسن؛ لأنهم الذين فَسر بهم رسول الله ﷺ المراد بأهل البيت في الآية، وكل قولٍ يخالف قول رسول الله ﷺ من بعيدٍ أو قريبٍ مضروبٌ به عرض الحائط، وتفسير الرسول ﷺ أولى من تفسير غيره؛ إذ لا أحد أعرف منه بمراد ربه»[١].

وقال الآلوسي في تفسيره روح المعاني: «وأخبار إدخاله «ص» عليًّا وفاطمة وبنيهما «رضي الله تعالى عنهم» تحت الكساء، وقوله «عليه الصلاة والسلام»: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" ودعاؤه لهم، وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى، وهي مخصصةٌ لعموم أهل البيت بأي معنىً كان. فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه»[٢].

والأحاديثُ المتضمنةُ لهذا المعنى مستفيضةٌ إنْ لم نقلْ متواترةٌ، وهيَ أكثرُ مِنْ أنْ تحصى.

الثانية: آية المباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣].

ومَنْ أنعم النظر في مفرداتها يرى أنّها جاءت بصيغ تتيح للنبي ﷺ، أن يأتي بغير عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام، أو يضُم إليهم مَنْ سِواهم من

---

(١) جناية الأكوع، ص١٢٥.
(٢) روح المعاني، ج٢٢، ص١٤.
(٣) آل عمران: ٦١.

الأصحاب أو الأقارب أو النساء؛ حيث أنّ الأمر الوارد في الآية تضمن دعوة الأبناء والنساء والأنفس من دون تحديد مصاديق لهذه الصيغ، الأمر الذي يعطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسحة المجال لدعوة كلٍّ من هؤلاء غير أهل بيته «صلوات الله عليهم»، أو يضم إليهم من سواهم، لكنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عَلِمَ أن مراد الله سبحانه من الأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، ومن النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ومن الأنفس عليًّا عليه السلام.

ومن جميع ما تقدم يتضح لنا: أن المخصِّص لعموم أهل البيت هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعله، لا إصرار الشيعة كما توهَّم المتوهمون.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



هل وصف الباقر والصادق عليهما السلام شيعتهم بالمنافقين والمشككين؟!

المستشكل: عبد الله شبيب

الإشكال: في كتب الرافضة التي يعتمدون عليها، ويعتقدون بصحتها قول لمحمد الباقر وابنه جعفر الصادق في ذم الشيعة الرافضة، فالباقر يصفهم بالمشككين، فيقول: «لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكًا والربع الآخر أحمق». رجال الكشي ص١٧٩.

والصادق يصفهم بالمنافقين، فيقول: «ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن يَنْتَحِلُ التَّشَيُّع». رجال الكشي ص ٢٥٤. فهذه هي حقيقة الشيعة الرافضة على لسان أئمتهم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قلنا مرارًا: إنّ الشيعة الإمامية لا يعتقدون بوجود كتاب صحيح من الدفة إلى الدفة غير كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه، وما عداه من كتب فإنها تحوي الصحيح وغيره مهما كانت منزلة هذه الكتب أو مصنفيها، وعلى هذا الأساس فإن وجود رواية في أي من كتبهم لا تعني بالضرورة أنهم يقولون بصحتها، وأمثال هذه الروايات موجودة فعلًا في كتب الشيعة على رغم عدم اعتقادهم بصحتها، وذلك على العكس من أهل السنة الذين يضفون على بعض كتبهم رداء القدسية، كالتي يسمونها «الصحاح» وعلى رأسها كتابي البخاري ومسلم، حتى قالوا عنهما: «إنهما أصح الكتب بعد كتاب الله»[1].

وإنه لو حلف رجل بطلاق امرأته على أن كل ما في الصحيحين هو من أقوال وأفعال وتقرير النبي ﷺ لم يحنث، وأن من روى له البخاري فقد جاز القنطرة[2].

إذا عُلم ما تقدم نقول في الجواب عن الإشكال:

الرواية الأولى: ضعيفة السند؛ فإن من جملة رواتها «سلام بن سعيد الجمحي»، وهو مجهول الحال، لم يوثَّق في كتب الرجال.

قال المامقاني في تنقيح المقال: «سلام بن سعيد الجمحي قد وقع في طريق الكشي في الخبر المتقدم في ترجمة أسلم القواس المكي، روى عنه فيه عاصم بن حميد، وروى هو عن أسلم مولى محمد بن الحنفية، وهو

---

(١) ينظر: تدريب الراوي، ص٩١، وعلوم الحديث، ص١٤، والخلاصة في أصول الحديث، ص٣٦، ومقدمة أبي الصلاح، ص٩.

(٢) مقدمة فتح الباري، ص٣٨١.

مهمل في كتب الرجال، لم أقف فيه بمدح ولا قدح»[١].

ومن جملة الرواة «أسلم مولى محمد بن الحنفية»، قال الشبستري في أصحاب الإمام الصادق[2]: «المكي، أسلم القواس، وقيل القواص، المكي، مولى محمد بن الحنفية، محدِّث إمامي ضعيف، صحب وروى، عن الإمام الباقر عليه السلام أيضًا، وأفشى سرًّا للإمام الباقر».

وقال ابن داود الحلي في رجاله[٣]: «أسلم المكي مولى محمد بن الحنفية "كش" مذموم».

وعليه فالرواية لا تصح، ولا يجوز الاحتجاج بها.

وأما بالنظر إلى متنها: فقد ورد في قوله عليه السلام: «لو كان الناس كلهم لنا شيعة»، فكلمة «لو» حرف امتناع لامتناع، وهو يدل على امتناع شيء لامتناع غيره، ففي الخبر امتنع أن يكون ثلاثة أرباع الشيعة شُكَّاكًا والربع الباقي حمقى، لامتناع كون كل الناس لهم عليهم السلام شيعة.

وبهذا لا يكون في الحديث أي إشكال على الشيعة، ولا يدل الحديث على أي ذم في البين، على فرض صحتها.

الرواية الثانية: «خالد بن حماد، قال: حدثني الحسن بن طلحة، رفعه عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن يزيد الشامي، قال: قال أبو

---

(١) تنقيح المقال، ج٢، ص٤٣.
(٢) أصحاب الإمام الصادق، ج١، ص١٥٥.
(٣) رجال ابن داود، ص٢٣٢.

الحسن عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي في من ينتحل التشيع». فهي ضعيفة السند جدًّا، وهي رواية مرفوعة كما هو واضح، مضافًا إلى أن هذا الحديث اشتمل على مجموعة من المجاهيل:

فأما خالد بن حماد فهو مجهول، قال التفريشي في نقد الرجال: «خالد بن حماد: الذي ذكره ابن داود - راويًا عن النجاشي - حيث قال: خالد بن حماد القلانسي الكوفي ق م، مولى، ثقة، لم أجده في كتب الرجال، خصوصًا في النجاشي، والظاهر أنه خالد بن ماد الذي سيجيء، واشتبه عليه، فذكره بعنوان: خالد بن حماد»[1].

وقال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث: «لم يذكر خالد بن حماد القلانسي في كتب الرجال أصلًا، بل لم يرو هذا ولا في رواية إلّا في ما تقدم، من رواية التهذيب، ولكنك عرفت أنه لم يذكر فيها التوصيف بالقلانسي، على أنها كانت في الكافي بعنوان خلف بن حماد، وعليه فلم يعلم وجود للمسمى بهذا الاسم أصلًا»[2].

وقال الجواهري في المفيد من معجم رجال الحديث: «خالد بن حماد القلانسي: ذكر ابنُ داود عن النجاشي عدَّه من أصحاب الكاظم، والصادق عليه السلام، وأنه ثقة - والصحيح أن الذي ذكر من أصحاب الكاظم والصادق عليه السلام، ووثق هو خالد بن ماد، ولا وجود للمعنون في

(١) نقد الرجال، ج٢، ص١٨٢.

(٢) معجم رجال الحديث، ج٨، ص٢٢.

كتب الرجال ولا الروايات، إلّا في الرواية المتقدمة في سابقه، ولم يذكر فيها التوصيف بالقلانسي، على أنها في الكافي خلف بن حماد كما تقدم»[١].

وأما الحسن بن طلحة: فهو أيضًا مجهول، قال صاحب المعالم في التحرير الطاووسي في هامش: «أبو محمد الحسن بن طلحة، وهو "مروزي" على ما في أسانيد بعض الروايات، ولم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة لدي»[٢].

وقال الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدركات علم رجال الحديث: «الحسن بن طلحة المروزي: لم يذكروه، روى كش عن خالد بن حماد، عنه حديث ذم منتحِل التشيُّع»[٣].

ومحمد بن إسماعيل مشترك، لا يُعرَف من هو.

وعلي بن يزيد الشامي، لم يرد له ذكرٌ في كتب الرجال.

والنتيجة أن سند هذه الرواية مظلم جدًا، ولا يعوَّل عليها لذلك، ثم إن المراد بمن انتحل التشيُّع هو من ادَّعاه، وهو ليس من الشيعة.

وأما بالنظر إلى متن الرواية على فرض صحة سندها: فقد أوضح العلامة المجلسي في بحار الأنوار معنى قوله عليه السلام: "من ينتحل التشيُّع"، فقال: «"من ينتحل التشيُّع" أي يدَّعيه من غير أن يتَّصف به، وفي غير

(١) المفيد من معجم رجال الحديث، ص٢٠٥.
(٢) التحرير الطاووسي في هامش، ص٣٢٦.
(٣) مستدركات علم رجال الحديث، ج٢، ص٤١١.

الـكافي: "انتحـل". في القامـوس: "انتحلـه وتنحّلـه: ادَّعـاه لنفسـه، وهـو لغـيره"»[١].

وهـذا معنـاه: أن حكـم مـن ادّعـى التشـيُّع ظاهـرًا -وهـو ليـس بشـيعي- كحكـم مـن يدّعـي الإسـلام ظاهـرًا، وهـو ليـس بمسـلم، وهـو النفـاق، والأمـر عكـس مـا توهمـه المستشـكل تمامًـا.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٩٨.

لماذا قال إخوة يوسف لأبيهم: أكله الذئب، ولم يقولوا: افترسه؟

المستشكل: جابر أبو محمد

الإشكال: هناك من يدّعي أن القرآن الكريم لا يميز بين مفردات اللغة العربية، فيستعمل بعضها في غير ما يناسبها، ويأتي على خلاف ما نطق به العرب واستعمالاتهم، فاستعماله كلمة «أكله الذئب» في قصة يوسف غير صحيحة؛ لأن الوصف الذي يناسب السباع من أسود ونمور وذئاب وفهود وضباع هو أنها مفترسة، والعرب تقول «افترسه الذئب» لا أكله.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ استعمال «أكله» في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[1]، هو استعمال عام، فالأكل لا يختص به نوع من الحيوان

(١) يوسف: ١٧.

دون نـوع، ولكـنّ معنـى الافـتراس في السـباع هـو القتـل فحسـب، جـاء في «لسـان العـرب»: «فَـرَسَ الـشيء فرْسًـا: دقـه وكـسره، وافـترس الدابـة أخذهـا، فـدقّ عنقهـا، والأصـل في الفـرْس «بسـكون الـراء» دقّ العنـق، ثـم كثـر حتـى جُعِـل كل قتـل فرْسًـا، وافترسـه صـاده، ومثـل ذلـك ورد في «القامـوس المحيـط» مـن المعاجـم.

فالافـتراس إذن القتـل بقصـد الأكل، ولكنـه ليـس الأكل التـام الـذي لا يبقـي مـن الفريسـة أيّ أثـر، وأصلـه دقُّ العُنُـق، وهـذا المعنـى لا يصلـح في موضـع الآيـة؛ لأن إخـوة يوسـف ادّعـوا عـلى الذئـب أنـه أكلـه أكلًا، وأتـى عـلى جميـع أجزائـه وأعضائـه، فلـم يـترك مفصـلًا ولا عظـمًا. وذلـك أنهـم خافـوا مطالبـة أبيهـم إياهـم بأثـرٍ بـاقٍ مـن يوسـف، يشـهد بصحـة مـا ذكـروه، فادّعـوا فيـه الأكل ليزيلـوا عـن أنفسـهم المطالبـة. فعبـارة: افترسـه الذئـب لا تعطـي هـذا المعنـى الدقيـق، وإنـما تؤديـه الآيـة الكريمـة، عـلى رغـم أن لفـظ الأكل شـائع الاسـتعمال في الذئـب وغـيره مـن السـباع.

يقـول الخطّـابي: «فـإن الافـتراس معنـاه في فعـل السّـبُع القتـل فحسـب، وأصـل الفـرْس دقّ العنـق، والقـوم إنّـما ادّعـوا عـلى الذئـب أنّـه أكلـه أكلًا، وأتـى عـلى جميـع أجزائـه وأعضائـه، فلـم يـترك مفصـلًا ولا عظـمًا؛ وذلـك لأنهـم خافـوا مطالبـة أبيهـم إيّاهـم بأثـرٍ بـاقٍ منـه، يشـهد بصحّـة مـا ذكـروه»[1].

فالفعـل «أكلـه» يـدل عـلى إخفـاء آثـار الجريمـة، فـإن المدلـول قـد تغـير

(١) ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٣٧.

فكيف لا يتغير الدالّ.

ويؤيّد ما ذهب إليه الخطّابيّ أنّ «أكل» ورد قبل أن يدّعُوا ما ادّعَوا، فعلى لسان أبيهم يعقوب عليه السلام جاء في السورة: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ أنّه الأكل، وليس الافتراس[1].

أما الأكل فهو مضغ الطعام وبلْعه، يقال: أكلَته النار أفنتْه.

ومما تقدم اتضح سبب استعمال القرآن الكريم كلمة «أكله» بدلًا من «افترسه»، ومنه تعرف كيف أن القرآن الكريم مُعْجِز في ألفاظه وأسلوبه، ومُعجِز في بيانه ونظْمه.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) انظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص ٢٨٨.

منذ متى أصبح التفاخر بغير كتاب الله مفخرة؟!

المستشكل: ثامر عبد العزيز

الإشكال: جميع الأديان والمذاهب الدينية تفتخر بصحة كتبها وما فيها والتسليم بما جاء فيها، والشيعة الإمامية الاثني عشرية هي الطائفة الوحيدة «الشاذة» التي تفتخر، وتفرح بأنها لا تملك كتابًا صحيحًا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

منذ متى أصبح التفاخر بغير كتاب الله مفخرة؟! فإن كانت الأديان والمذاهب تفتخر بصحة كتبها، وتعدُّ ذلك مفخرة لها، فالشيعة الإمامية تفتخر باعتقادها أنْ ليس بعد كتاب الله عزّ وجلّ كتابٌ صحيح، وهذه مفخرة، لا تدانيها مفخرة.

فالاعتقاد الصحيح هو أنه ليس بعد كتاب الله عزّ وجلّ كتاب صحيح خالٍ عن الموضوعات، حتّى الكتب المسمّاة بالصحاح.. ففي

صحيح البخاري أكاذيب وأباطيل، وأحاديثه فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين ذلك إلى أهل علم الحديث وعلماء الجرح والتعديل.

نعم، الشيعة الإمامية لديهم تراث روائي ضخم عن الإمام علي عليه السلام، وبقية الأئمة عليهم السلام؛ حتى بات هذا التراث المصدر الأساس للمعارف والفقه لديهم بعد كتاب الله والسنّة النبوية، ومنها الكتب الأربعة المعروفة: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار؛ ولكنّ وجود حديث معيّن في أحد هذه المصادر المعروفة أو الكتب المعتبرة الأخرى لا يدلّ بحال من الأحوال أن الحديث يرقى إلى درجة الاعتبار، بل إنّ لكل حديثٍ سلسلةَ سندٍ، لا بدّ من دراسة رجالها واحدًا فواحدًا، فإذا كانوا من الثقات المعتمَدين اعتبرنا الحديث صحيحًا، وبدون ذلك فإنه يدخل ضمن الأحاديث المشكوكة أو الضعيفة، وهذه وظيفة يتعهدها أصحاب الاختصاص وعلماء الحديث والرجال[1].

فالشيعة لا يعتقدون بوجود كتاب صحيح من الدفة إلى الدفة غير كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما عداه من كتب فإنها تحوي الصحيح وغيره، مهما كانت منزلة هذه الكتب أو مصنفيها، وعلى هذا الأساس فإن وجود رواية في أي من كتبهم لا تعني بالضرورة أنهم يقولون بصحتها، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»[2].

---

(١) انظر: عقائدنا، ناصر مكارم الشيرازي، ص٦١.

(٢) الكافي، ج١، ص١١٧.

وعنه أيضًا عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس بمنى، فقال: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم عني يخالف كتاب الله فلم أقله»[1].

وعلى هذا الأساس المتين بنى الشيعة الإمامية فقههم وعقائدهم، فمهما بلغ الحديث من صحة الإسناد، فلا بد أن يعرضوه على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال الشيخ المفيد في كتابه «تصحيح الاعتقاد»: «وكتاب الله تعالى مقدم على الأحاديث والروايات، وإليه يُتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها فما قضى به فهو الحق دون سواه»[2].

وبناء على ذلك، تميز الشيعة عن أهل السنة في كثير من الأحكام الفقهية، وكذلك في كثير من المسائل العقَدية، فأهل السُّنة يضفون على بعض كتبهم ـ وبخاصة تلك التي يسمونها «الصحاح» وعلى رأسها كتابي البخاري ومسلم ـ رداء القدسية، حتى قالوا عنهما: إنهما أصح الكتب بعد كتاب الله[3].

وقالوا عنهما أيضًا: إنه لو حلف رجلٌ بطلاق امرأته على أن كل ما في الصحيحين هو من أقوال وأفعال وتقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحنث، وأن من

(١) الكافي، ج١، ص٤١٦.
(٢) تصحيح الاعتقاد، ص٤٤.
(٣) تدريب الراوي، ص٩١، علوم الحديث، ص١٤، الخلاصة في أصول الحديث، ص٣٦، مقدمة أبي الصلاح، ص٩.

روى لـه البخاري فقد جاز القنطرة[١].

فشخصية البخاري لدى معظم علماء أهل السُّنة توازي شخصية بولس الرسول لدى المسيحيين، حيث يعدُّ المسيحيون أن المؤلف الحقيقي للمسيحية بشكلها اليوم، هو بولس الذي كان اسمه شاول قبل أن يعتنق المسيحية، وعلماء أهل السُّنة تجرأوا على مقارنة صحيح البخاري بكتاب الله المنزل من لدنه على نبيه إلى الناس، هدى ورحمة للمتقين، فقالوا عنه بدون حياء ولا وازع من دين "إنه أصحّ كتاب بعد كتاب الله" كما حكاه النووي والذهبي وغيرهما، فالمقارنة بين القرآن الإلهي المصدر، الكلي والشمولي، صيغةً ومحتوى، مبنىً ومعنىً، والمعجز في كل تفاصيله، وبين كتابٍ بَشَري المصدر، فيه ما فيه من الضعف البشري، والخطأ البشري، والنسبية البشرية، ويُعدُّ ذلك تعدِّيًا على حرمة كلام الله، وكأنهم لم يقرأوا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٢]. فبمقتضى هذه الآية فإن الكتاب الوحيد الذي لا اختلاف فيه هو القرآن، ويدخل في عموم كل الكتب ما سوى القرآن الكريم بما فيها صحيح البخاري أيضًا، لكن العقلية المقلِّدة المقدِّسة للأساطير جعلتْ كلَّ ما ورد في صحيح البخاري صحيحًا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) مقدمة فتح الباري، ص ٣٨١.
(٢) النساء: ٨٢.

جعفرُ بن محمد الصادق الإمامُ المسلَّم بإمامته

السائل: علاء تحسين الموسوي

السؤال: كيف يُستدَلُّ على إمامة الصادق عليه السلام بعد أبيه الباقر عليه السلام، وكيف نثبت أنه خليفة أبيه ووصيه، وبماذا نثبت ذلك للمخالفين؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، كان منصوصًا عليه بالإمامة من قِبَل أبيه الباقر عليه السلام - وهو الإمام المسلَّم بإمامته - ومنظورًا إليه بالذات في النصوص المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق أهل بيته عليهم السلام، وجامعًا لكل شروط الإمامة وصفاتها المطلوبِ اجتماعُها فقهًا وشرعًا في شخص الإمام المرشَّح لذلك.

أما كونه خليفة أبيه ووصيه الذي نص عليه بالإمامة من بعده، فقد تعددت روايته على ألسُن المحدِّثين والمؤرخين، ونقلتْها المصادر

المعنية الموثوقة لدى المسلمين، من ذلك قول ابن حجر الهيتمي في الصواعق: «كان خليفة أبيه ووصيه»[(١)].

ومن ذلك قول الشيخ المفيد وابن الصباغ المالكي: إنه كان «من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام ووصيه القائم بالإمامة من بعده»[(٢)].

ومنه أيضًا: قول الطبرسي والمجلسي: «ووصى إليه أبوه -أبو جعفر عليه السلام- ونص عليه بالإمامة نصًّا جليًّا»[(٣)].

واستخلص ابن شهر آشوب من مجموع الروايات ثبوت النص على إمامته من بعد أبيه لدى المسلمين، بقوله: «وثبت من الطريقين المختلفين أنه منصوص عليه»[(٤)].

وأما ثبوت ذلك بالنصوص النبوية فيكفينا أن نورد هنا ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم متواترًا، قوله: «الأئمة من قريش»، وهذا الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده[(٥)]، والطيالسي في مسنده[(٦)]، والحاكم في مستدركه[(٧)]، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير[(٨)]، والهيثمي في مجمع

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٢٠.
(٢) الإرشاد، ص٢٨٨؛ الفصول المهمة، ص٢٠٤.
(٣) الاحتجاج، ص٢٠٣؛ بحار الأنوار، ج٤٧، ص١٤.
(٤) المناقب، ج٢، ص٣٠٠.
(٥) مسند أحمد بن حنبل، ٣، ص١٢٩، ١٨٣، وج٤، ص٤٢١.
(٦) مسند أبي داود الطيالسي، ص١٢٥، ٢٨٤.
(٧) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ج٤، ص٥٠١.
(٨) الجامع الصغير، للسيوطي، ج١، ص٤٨٠.

الزوائد[١]، والبيهقي في السنن الكبرى[٢]، والطبراني في المعجم الصغير[٣]، والألباني في صحيح الجامع الصغير[٤].

وقال أبو نعيم في الحلية: «هذا حديث مشهور ثابت من حديث أنس»[٥]، وقال البيهقي في السنن: «مشهور من حديث أنس»[٦].

وعدّه السيوطي من الأحاديث المتواترة في كتابه قطف الأزهار المتناثرة[٧]، والكتاني في نظم المتناثر[٨]، وابن حزم في الفِصَل في المِلَل والأهواء والنحل[٩]، وغيرهم، واستقصى الألباني طرق هذا الحديث، وصحّحها، ونفى الشك في تواتر الحديث في إرواء الغليل[١٠]، فبمقتضى هذا الحديث لا تصح إمامة غير القرشي كائنًا من كان.

وإذا أردنا معرفة هؤلاء الأئمة من أي بطن من بطون قريش هم، فإننا نجد الجواب في قول الإمام عليّ عليه السلام: «إن الأئمة من قريش، غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي، ج٥، ص١٩٢.
(٢) السنن الكبرى، للبيهقي، ج٣، ص١٢١، وج٤، ص٧٦.
(٣) المعجم الصغير، للطبراني، ج١، ص١٥٢.
(٤) صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج١، ص٥٣٤.
(٥) الحلية، ج٣، ص١٧١.
(٦) السنن البيهقي، ج٣، ص١٢١.
(٧) قطف الأزهار المتناثرة، ص٢٤٨.
(٨) نظم المتناثر، ص١٦٩.
(٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص١٥٢.
(١٠) إرواء الغليل ج٢، ص٢٩٨-٣٠١.

غيرهم»[١]، إذن هؤلاء الأئمة من قريش هم من بني هاشم.

ولمعرفة عدد هؤلاء الأئمة، نضم إلى الحديث المتقدِّم النصوص النبوية الشريفة المتفق على صحتها بحصر عدد الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم باثني عشر إمامًا، حدًّا فاصلًا وبيانًا هاديًا، لا يترك منفذًا لاختلاف الآراء وتدخُّل الاجتهادات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلفاء بعدي اثنا عشر، كلهم من قريش»[٢].

إذن الأئمة لا بد أن يكونوا من قريش من بطن هاشم، وعدتهم اثنا عشر إمامًا.

ولمعرفة من هؤلاء الأئمة، نضم إلى الأحاديث المتقدمة - أيضًا - ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح الثابت المتواتر المتسالَم عليه المرويّ عن بضع وعشرين صحابيًّا، وصرح بذلك ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة[٣]، المعروف بحديث الثقلين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك أو مخلِّف فيكم الثقلين، أو: الخليفتين. ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، فبمقتضى هذا الحديث يجب أن يكون هؤلاء الأئمة الذين هم من قريش -وعدتهم اثنا عشر- أئمة معصومين، ولم تجتمع هذه الشروط في غير أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يدَّعِ غيرهم توافره على

---

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح، خ١٤٤، ص٢٠١.

(٢) صحيح البخاري، ج٩، ص١٤٧، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف؛ صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٥٢.

(٣) الصواعق المحرقة، ص١٣٦.

هذه الشروط مجتمعة.

ومن تلك الأحاديث - أيضًا - حديث السفينة، قال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[١]، ومن المعلوم أنّ سَفينة «نوح» كانت هي الملجأ الوحيد لنجاة الناس من الطوفان في ذلك الوقت، وهذا الحديث يؤكد على أن أهلَ البيت النبويّ هم الملجأ الوَحيد للأُمّة، للنجاة من الحوادث العصيبة والوقائع الخطيرة التي طالما تُؤدّي إلى انحراف البشرية وضلالها، حيث ظهر منهم من أنواع العلوم ما ملأ بطون الكتب، وصنف أصحابُهم -في الأحاديث المروية عنهم في علوم شتى- ما يزيد على ستة آلاف وستمائة كتاب، وامتاز من بينها أربعمائة مصنف تعرف بالأصول الأربعمائة، وها هو «أبان بن تغلب وحده روى عن إمام واحد -وهو جعفر بن محمد الصادق عليه السلام- ثلاثين ألف حديث»[٢]، وقال الحسن بن الوشا من أصحاب الرضا عليه السلام: «أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ، كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد»[٣].

والإمام الصادق عليه السلام ممن اجتمعت فيه الصفات، وتوفرت فيه المؤهلات والكفايات، قال أبو حنيفة إمام المذهب المنسوب إليه:

---

(١) مستدرك الحاكم، ج٢، ص١٥١؛ والخصائص الكبرى للسيوطي، ج٢، ص٢٦٦.
(٢) ينظر: الإمام الصادق، محمد حسن المظفر، ج١، ص١٤٤.
(٣) الرجال للنجاشي، ص١٣٩، برقم ٧٩.

«ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد»[١]، وقد حضر عنده هو ومالك بن أنس وغيرهما من أئمّة أهل السنّة، وفي مختصر التحفة الاثني عشرية عن أبي حنيفة أنّه قال: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٢].

وقال مالك بن أنس إمام المذهب المنسوب إليه: «اختلفتُ إليه زمانًا، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلٍّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدِّث إلا على طهارة»[٣].

وقال عمرو بن أبي المقدام: «كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين»[٤].

ونقل عن الخليفة العباسي المنصور في رسالة له إلى محمد النفس الزكية، قوله: «ما ولد منكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن الحسين... وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي... ولا مثل ابنه جعفر بن محمد»[٥].

وقال أبو حاتم: «ثقة، لا يسأل عن مثله»[٦]، وروي مثل ذلك عن أعلام المحدِّثين، ولخَّص الذهبي هذه الروايات بقوله: «احتج

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٦، ص٣٦٤.
(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٩.
(٣) تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٠٥.
(٤) تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٠٤؛ وسير أعلام النبلاء، ج٦، ص٣٦٤.
(٥) العقد الفريد، ج٥، ص٣٤٣؛ والكامل في التأريخ، ج٥، ص٥٣٩.
(٦) تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٠٤.

بـه سـائر الأمـة»[١]، وقـال في التذكـرة: «وحـدث عنـه الأئمـة»[٢].

وقـال ابـن حجـر الهيتمـي: «نقـل النـاس عنـه مـن العلـوم مـا سـارت بـه الركبـان، وانتـشر صيتـه في جميـع البلـدان، وروى عنـه الأئمـة الأكابـر»[٣].

والحمـد لله أولًا وآخـرا، وصـلى الله عـلى خـير خلقـه أجمعـين محمـد وآلـه الطيبـين الطاهريـن.



(١) سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٥٧.
(٢) تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٦٨.
(٣) الصواعق المحرقة، ج٢، ص٥٨٦.

هل القرآن ـ على رواية مرآة العقول ـ سبعة عشر ألف آية؟

المستشكل: مرتضى أنور

الإشكال: في رواية كتاب "مرآة العقول" القرآن الكريم يشتمل على سبعة عشر ألف آية، في حين أن القرآن -كما هو معروف- لا يوجد فيه إلّا ستة آلاف آية. فكيف نوفق بين هذه الرواية وقول علماء الشيعة الإمامية بأنَّ القرآن لا زيادة فيه؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قلنا مرارًا، ونقول: للشيعة الإمامية ضوابط خاصّة ودقيقة جدًّا في التعامل مع الروايات، فهم ليسوا كغيرهم، يتعبدون بالأسانيد، ويتخذونها دينًا لهم حتّى وإن خالفت مضامين الروايات من المعقول والمنقول، بل الرواية الحجّة عندهم هي تلك الرواية التي تثبت صحتها أوّلًا وبعد ثبوت الصحّة يرون هل يوجد معارض من روايات أخرى أو لا يوجد، وإذا وجد هذا المعارض، فهل معارضته من النوع المستقر أو غير المستقر،

فإن كان من غير المستقر جمعوا بينه وبين الطرف الآخر بالتخصيص أو التقييد ونحوها من ضوابط الجمع العرفي، وأما إذا كان التعارض مستقرًّا فقد ذهبوا إلى المرجّحات المعروفة عندهم في علم الأصول في باب التعادل والتراجيح التي أخذوها عن أئمتهم عليهم السلام من موافقة الكتاب ومخالفة العامة، فإن كان المرجِّح في أحد الطرفين أخذوا به، وإلّا يتساقط الخبران عندهم، ولا يأخذون بهما معًا.

ويتضح مما تقدم أن هناك سلسلة طويلة من المراحل، تمرّ بها الرواية عند الشيعة الإمامية حتّى تكون حجّة عندهم.

نأتي الآن للبحث في رواية مرآة العقول التي جئت بها، فنقول:

هذه الرواية وإن حكم العلامة المجلسي بوثاقتها، إلّا أنّها مخالفة لظاهر القرآن الكريم، فظاهر القرآن هو ستة آلاف آية وبضع مئة آية، ونتيجة ذلك أنه يضرب بهذه الرواية عرض الجدار، امتثالًا لأقوال الأئمة عليهم السلام بعرض رواياتهم على كتاب الله، فما وافق الكتاب يؤخذ به وما خالف الكتاب يُضرب عرض الجدار، على أنَّ في الرواية تصحيفًا واضحًا أشار إليه بعض الأعلام في الردّ عليها، منهم:

الشيخ محمّد هادي معرفة في كتابه «صيانة القرآن من التحريف»، قال: «والحديث بهذه الصورة نادر غريب، وقد أوقع الشرّاح في مشكل العلاج، بعد أن كانت آي القرآن ـ حسب واقعيته الراهنة، الموافق للمأثور عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس وغيره من التابعين،

والتي أجمعت عليها عامّة أهل التفسير كالطبرسي وغيره ـ لا تعدو بضعًا ومائتين وستة آلاف آية! فهي لا تبلغ سبعة آلاف، فكيف بسبعة عشر ألفًا؟!

وقد جزم المولى أبو الحسن الشعراني ـ في تعليقته على شرح الكافي للمولى صالح المازندراني ـ بأنّ لفظة «عشر» من زيادة النسّاخ أو الرواة، والأصل: هي سبعة آلاف عددًا تقريبيًّا ينطبق مع الواقع نوعًا مّا.

ويؤيّده أنّ صاحب الوافي ـ المولى محسن الفيض ـ نقل الحديث عن الكافي بلفظ «سبعة آلاف آية» من غير ترديد. الأمر الذي يدلّ على أنّ النسخة الأصلية من الكافي التي كانت عنده كانت بهذا اللفظ، ولم يحتمل غيره.

قال الشعراني في تعليقه على الوافي: كانت النسخة التي شرحها المجلسي في مرآة العقول «سبعة عشر ألفًا» وكأنّها من فعل بعض النسّاخ، استقلّ عدد السبعة فأضاف إليه عشرًا. غير أنّ السبعة آلاف هي القريبة من الواقع الموجود بأيدينا. وظاهر الحديث أنّه ليس بصدد إحصاء عدد الآيات، بل ذلك من باب إطلاق العدد التامّ المتناسب مع الواقع بعد حذف الكسور أو تتميمها كما هي العادة والمتعارف في الاستعمال، من باب التسامح، بعد عدم تعلّق الغرض بذكر الكسر الناقص أو الزائد.

وهذا نظير ما روي: أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام لم يزل باكيًا بعد شهادة أبيه أربعين سنة. مع أنّه لم يعش بعده أكثر من خمسة وثلاثين

سنة.

قال: وهذا التوجيه لا يجري مع زيادة لفظ «عشر». قال ذلك تدليلًا على غلط النسخة قطعًا»[1].

والحمد لله أولًا وآخرا، وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.



(١) صيانة القرآن من التحريف، ص٢٢٤.

أم المؤمنين عائشة وأسباب غضبها وسخطها على معاوية

المستشكل: أيمن علاء

الإشكال: يستدل الرافضة بقول ابن خلِّكان: "ولما ماتت [عائشة] بكى عليها ابن عمر رضي الله عنه، فبلغ ذلك معاوية، فقال له: أ تبكي على امرأة؟ فقال: إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها، وأما من ليس لها بابن فلا". وحكموا على أم المؤمنين رضي الله عنها بأنها ماتت غاضبة على معاوية، وأنها ماتت، وليس لها إمام!!! وهم يعلمون أنه كذب؛ إذ بين موت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وولادة ابن خلِّكان رحمه الله مئات السنين، وأن ابن خلِّكان لم يذكر أي سند لهذا الأثر.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

مسألة غضب عائشة على معاوية، وأنها كانت تدعو عليه في صلاتها، مسالة مفروغ منها، ولا نحتاج لإثباتها إلى ما ذكره ابن خلِّكان.

وامتعاضك من قول ابن عمر لمعاوية: «إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها، وأما من ليس لها بابن فلا»، الذي نقله ابن خلِّكان، لا مبرر له إلا الغلو والتعصب انتصارًا لمعاوية، فها هي عائشة قد قالت لعمار بن ياسر: «لست لك بأم»، فما تأثير قولها هذا على مقام عمار ومنزلته؟! الجواب هو: لا شيء أبدًا، فلماذا هذا التعصب والغلو غير المبرر بمثل معاوية؟!

فقد روى أحمد في مسنده، قال: «جاء عمار، ومعه الأشتر، يستأذن على عائشة، قال: يا أماه. فقالت: لست لك بأم. قال: بلى، وإن كرهتِ. قالت: من هذا معك؟ قال: هذا الأشتر. قالت: أنت الذي أردت قتل ابن أختي؟ قال: قد أردت قتله وأراد قتلي»[1].

وقال الحاكم في مستدركه: «دخل عمار على عائشة يوم الجمل، فقال: السلام عليك يا أماه. قالت: لست لك بأم: قال: بلى، إنك أمي وإن كرهتِ. قالت: من ذا الذي أسمع صوته معك؟ قال: الأشتر. قالت: يا أشتر، أنت الذي أردت أن تقتل ابن أختي؟ قال: لقد حرصت على قتله، وحرص على قتلي فلم يقدر...»، قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه[2].

ولم تقف عائشة عند حدّ الغضب والدعاء على معاوية، بل تعدت ذلك إلى وصفه بالسلطان الفاجر، على ما رواه ابن كثير في "البداية

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص٢٠٥.
(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٣٥٣.

والنهايـة" عـن الأسـود بـن يزيـد، أنـه قـال: «قلـت لعائشـة: أ لا تعجبـين لرجـل مـن الطلقـاء، ينـازع أصحـاب محمـد في الخلافـة؟، قالـت: ومـا يعجـب؟ هـو سـلطان الله يؤتيـه الـبر والفاجـر، وقـد ملـك فرعـون مـصر أربعمائـة سـنة...»[1].

وإن بحثـت عـن أسـباب غضـب عائشـة عـلى معاويـة فسـتجد أنهـا كثـيرة، نذكـر لـك منهـا:

١- قتلـه لأخيهـا محمـد بـن أبي بكـر ووضعـه في بطـن حمـار وحرقـه، قـال الضحـاك في الآحـاد والمثـاني: «أخبرنـا ابـن أبي عمـر، أخبرنـا عبـد الـرزاق عـن معمـر، عـن الزهـري، عـن القاسـم، قـال: قـدم معاويـة المدينـة، فاسـتأذن عـلى عائشـة، فأذنـت لـه وحـده، ولم يدخـل معـه أحـد، فلـما دخـل قالـت عائشـة: أ كنـت تأمـن أن أُقعِـد لـك رجـلًا، فيقتلـك كـما قتلـت أخـي محمـد بـن أبي بكـر؟ قـال: مـا كنـت تفعلـين ذلـك. قالـت: لِمَ؟ قـال: إني في بيـت آمـن. قالـت: أجـل»[2].

٢- وروى الطـبري في تاريخـه: «... فغضـب معاويـة، فقدمـه، فقتلـه، ثـم ألقـاه في جيفـة حمـار، ثـم أحرقـه بالنـار، فلـما بلـغ ذلـك عائشـة جزعـت عليـه جزعًـا شـديدًا، وقنتـت عليـه في دبـر الصـلاة تدعـو عـلى معاويـة وعمـرو»[3].

---

(١) البداية والنهاية، ج٢، ص١٤٣.
(٢) الآحاد والمثاني، ج١، ص٤٧٥.
(٣) تاريخ الطبري، ج٤، ص٧٩.

٣- قتله حُجر بن عدي راهب الصحابة وكبير عبّادهم وصالحيهم. قال البلاذري في أنساب الأشراف: «حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن شريك، قال: كتبت عائشة إلى معاوية في قتل حجر أو غير ذلك: أما بعد، فلا يغرنك يا معاوية حلم الله عنك، فيزيدك ذلك استدراجًا، فإنه بالمرصاد، وإنما يعجل من يخاف الفوت»[(١)].

٤- وأخرج الحاكم في المستدرك عن مروان بن الحكم، قال: «دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا معاوية، قتلت حُجرًا وأصحابه، وفعلت الذي فعلت، وذكر الحكاية بطولها»[(٢)].

وذكره في المصدر نفسه: عن مروان بن الحكم، قال: «دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا معاوية، قتلت حُجرًا وأصحابه، وفعلت الذي فعلت «وتقصد قتله أخاها وحرقه» ما تخشى أن أخبئ لك رجلًا فيقتلك؟ قال: لا، إني في بيت أمان، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»[(٣)].

وما تقدم يثبت لك وللقارئ الكريم أن مسألة غضب عائشة على معاوية والدعاء عليه، مسألة مفروغ منها، وإثباتها غير منحصر بما ذكره ابن خلكان على ما بيناه آنفًا، وامتعاضك انتصارًا لمعاوية لا بد وأن يكون كذلك لعمار بن ياسر لجلالة قدره وعلو مقامه، وإلا فهو

(١) أنساب الأشراف، ج٥، ص٤١.
(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٤٧٠.
(٣) نفس المصدر، ج٤، ص٣٥٣.

تعصب وغلو في معاوية، على رغم أن نفي – عائشة – أمومتها عن أحد من المؤمنين لا يضر، ولا يؤثر، فما أضر عمار بن ياسر عندما قالت له: «لست لك بأم»؟

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



التقية والعصمة هل يجتمعان في النبي أو الإمام؟

المستشكل: إبراهيم أبو عبد الله

الإشكال: التقية والعصمة لا يجتمعان، فالتقية إما سكوت عن حق أو سكوت على باطل، وهذا طعن في عصمة الأنبياء، والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ﴾.. فالتقية تخالف الكتاب والسنة، والآثار المنقولة التي تحث على الصبر عند البلاء والثبات على المبدأ الحق ولو كان أذىً كبيرًا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن للتقية أنواعًا بلحاظ أهدافها وغاياتها، النوع الأول: التقية الخوفية أو الإكراهية، والنوع الثاني: التقية التي للمداراة أو التحبيبيّة، والنوع الثالث: التقيّة الكتمانيّة.

والمقصود من التقية الخوفية أو الإكراهية هو: ما إذا كان الهدف من

استخدامها دفع الضرر عند الخوف منه، سواء أكان الخوف شخصيًّا أم نوعيًّا، كتقيّة عمّار بن ياسر من المشركين.

وأما التقية التي للمداراة أو التحبيبيّة: فهي ما إذا كان الهدف منها، هو الحفاظ على وحدة المسلمين، وتقليل شقّة الخلاف فيما بينهم وجمع كلمتهم، كما في أحاديث المخالطة والمعاشرة، وكذلك في ما لو كانت أغراضها اتقاء فحش الآخرين بإِلانةِ الكلام لهم والتبسم في وجوههم، نظير ما في تقيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «بئس ابن العشيرة»[1]، «أو بئس أخو العشيرة»[2].

والمقصود من التقيّة الكتمانيّة: ما إذا كان الهدف منها حفظ الدين من الاندثار والانمحاء في دولة الباطل في ما لو أُذيعت تعاليمه وأحكامه المخالفة لهوى السلطة الظالمة، وعليه فلا بدّ من كتمانها إلّا على الخواصّ؛ لا سيّما إذا كان أهل الحقّ هم القلّة القليلة المحاطة بزمر الباطل.

ومن هذه التقيّة تقية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عدم إظهار أمر الدعوة إلّا للخواصّ مدّة ثلاث سنوات، وقد مرّ في محلّه. وكذلك ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من التأكيد على عدم إذاعة أسرارهم عليهم السلام، خوفًا على مذهب الحقّ وقادته الأطهار وأنصاره وأتباعه.

ويدخل في هذا القسم من التقيّة ما كانت الغاية منه حفظ بعض

(١) الموطأ، ج٢، ص٤٦٣.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٢٦.

المصالح المشروعة بالكتمان، كما فعل مؤمن آل فرعون في كتم إيمانه، وكما كتم يوسف الصدّيق عليه السلام أمره عن إخوته[١].

وجاء في تفسير الأمثل: «قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ﴾[٢]، استفاد جماعة من هذه الآية أنّ التقيّة حرام مطلقًا للأنبياء في تبليغ الرسالة، لأنّ القرآن يقول: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ﴾. غير أنّه يجب الانتباه إلى أنّ للتقيّة أنواعًا، ولم تنف الآية في مورد دعوة الأنبياء وإبلاغ الرسالة إلاّ نوعًا واحدًا، وهو التقيّة خوفًا، في حين أنّ للتقيّة أنواعًا منها التقيّة مداراةً وتورية.

والمراد من التقيّة التي للمداراة أن يكتم الإنسان عقيدته أحيانًا لجلب محبّة الطرف المقابل ليقوى على استمالته للتعاون في الأهداف المشتركة.

والمراد من تقيّة «التورية» والإخفاء هو أنّه يجب أن تُخفى المقدّمات والخطط للوصول إلى الهدف، فإنّها إن أُفشيت، وانتشرت بين الناس، وأصبحت علنية، واطلع العدوّ عليها فمن الممكن أن يقوم بإجهاضها.

إنّ حياة الأنبياء -وخاصّة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم- مليئة بموارد التقيّة هذه؛ لأنّا نعلم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيرًا ما يخفي أهدافه ومقاصده عندما كان يتوجّه إلى ميدان الحرب، وكان يرسم خططه الحربية بخفاء تامّ، وكان يستخدم أُسلوب الاستتار والتخفّي ـ والذي هو نوع من التقيّة ـ في جميع المراحل.

---

(١) انظر: التقيّة في الفكر الإسلامي، ص٩٩-١١٧.
(٢) الأحزاب: ٣٩.

وكان يتّبع أحيانًا أُسلوب «المراحل» ـ وهو نوع من التقيّة ـ لبيان حكمٍ ما، فمثلًا نرى أنّ مسألة تحريم الربا أو شرب الخمر لم تبيَّن في مرحلة واحدة، بل في مراحل متعدّدة بأمر الله سبحانه، أي أنّها تبدأ من المراحل الأبسط والأسهل حتّى تنتهي بالحكم النهائي الأساس.

وعلى أيّة حال، فإنّ للتقيّة معنىً واسعًا، وهو: (إخفاء الحقائق والواقع للحفاظ على الأهداف من التعرّض للخطر والانهيار) وهذا الشيء متعارف بين عقلاء العالم، والقادةُ الربّانيون يفعلون ذلك في بعض المراحل للوصول إلى أهدافهم المقدّسة، ونقرأ ذلك في قصّة «إبراهيم» عليه السلام بطل التوحيد، حيث أخفى هدفه من البقاء في المدينة في اليوم الذي يخرج فيه عبدة الأصنام خارج المدينة لإجراء مراسم العيد ليستغلّ فرصة مناسبة، فينهال على الأصنام، ويحطّمها.

وكذلك أخفى «مؤمن آل فرعون» إيمانه ليستطيع أن يعيّن موسى عليه السلام في اللحظات الحسّاسة، وينقذه من القتل، ولهذا السبب ذكر القرآن له تسعة مواقف وصفات عظيمة.

ومن هنا نعلم أنّ التقيّة خوفًا فقط غير جائزة على الأنبياء، لا الأنواع الأُخرى للتقيّة»[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) تفسير الأمثل، ج١٠، ص٤١٧-٤١٨.

لماذا ندفع الخمس وقد أباحه الإمام المهدي عليه السلام؟

المستشكل: عمار أبو مرتضى

الإشكال: قرأت رواية عن الإمام المهدي عليه السلام يقول فيها: إن الخمس قد أُبيح لشيعتنا إلى حين الظهور!! فلماذا ندفع الخمس طالما أباحه الإمام أرواحنا لمقدمه الفداء؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في البدء ينبغي أن نعرف أنْ ليس كلّ رواية توجد في كتبنا الروائية هي حجّة، وينبغي العمل بها من دون نظر إلى الروايات الأخرى الواردة عن أئمتنا عليهم السلام، فالرواية الحجّة عند الشيعة الإمامية تمر بمراحل، هي:

١- أن تكون الرواية صحيحة السند.

٢- أن لا تخالف القرآن الكريم.

٣- أن لا تخالف العقل القطعي.

٤- أن لا تخالف الحقائق العلمية الثابتة.

٥- أن لا تخالف المسلمات في الشريعة.

٦- أن لا تخالف ثوابت المذهب.

٧- أن لا تكون صادرة للتقية.

٨- أن لا تكون معارضة لرواية أخرى من الروايات الصحيحة عندنا، وإذا كان لها معارض فينظر فيه هل هو من النوع المستقر أو غير المستقر؟ وإذا كان من نوع غير المستقر هل يمكن جمعه جمعًا عرفيًّا أو لا، والمستقر هل توجد له مرجحات في المقام أو لا؟

فهذه المراحل كلها تمر على الرواية حتى تكون حجّة، ويأخذ الشيعة الإمامية بها.. ففي الروايات عام وخاص ومطلق ومقيد ونص وظاهر ومجمل ومبين، وليس كما يظن البعض في أنّ الموضوع يتعلق برواية واحدة فقط..

وبالنسبة للرواية المذكورة في السؤال، فهي ممّا رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه (إكمال الدين وتمام النعمة)، ونحن بغض النظر عن سندها نقول: هي معارضة بجملة روايات، توجب دفع الخمس، ولا تحلّه لصاحبه، الأمر الذي يَشْكُل قبولُها على ظاهرها، وفي هذا الجانب قال المحقّق القمي قدس سره: «وفي كتاب إكمال الدين، عن محمّد بن يعقوب في ما ورد من التوقيعات بخط صاحب الزمان عليه السلام: «أمّا ما سألت عنه من أمر المنكرين لي... إلى أن قال:

وأمّا الخمس فقد أُبيح لشيعتنا، وجُعلوا منه في حلّ إلى أن يظهر أمرنا؛ لتطيب به ولادتهم»، إلى غير ذلك من الأخبار.

أقول: ويشكل العمل بظواهر أكثر هذه الأخبار؛ لأنّ مقتضى بعضها تحليل مطلق الخمس حتى حصّة غير الإمام وحصّة الإمام اللاحق وفي حال الحضور، فضلًا عن الغُيبة، وكذلك الأنفال، ويفيد كثير منها عدم تخصيص الاستثناء بما ذكر، وذلك يوجب جواز التصرف في مال الآخرين.

هذا، وإن كان يمكن دفعه بأنّ إخبار المعصوم عن ذلك كاشف عن صحته، بمعنى أنّه إخبار عن عدم الوجوب، ولكن يدفعه التأمل في الحكمة الباعثة على وضع الخمس، وما دلّ من الأخبار على أنّ الله تعالى حرّم الزكاة على بني هاشم تشريفًا لهم، وتنزيهًا إياهم عن أوساخ الناس، وتوفيرًا لحقّهم على غيرهم من جهة المقدار والمحل كليهما؛ فإذا كان ذلك ساقطًا عن الشيعة، فيبقى فقراء بني هاشم أسوأ حالًا من سائر الخلق؛ لأنّ المخالفين -مع قلَّة ما يتعلَّق به الخمس عندهم، لأنّهم لا يقولون بخمس الأرباح؛ وهو الغالب النافع في الغالب، ولا المال المختلط، ولا في أرض الذمّي التي اشتراها من مسلم- في الغالب لا يعطون خمسهم للشيعة، لا سيّما من كان منهم في بلاد التشيّع، مع ما ثبت من شرف بني هاشم، وكثرة عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحالهم، وجعل المودّة معهم أجر الرسالة، وما ورد من الأخبار الكثيرة في صلة الذرية الطيبة، فكيف يمكن القول بسقوط حقوقهم بالمرّة أو في الأغلب، مع

أنّه الأصل الثابت بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع، فكيف يخرج عنه بمثل هذه الأخبار، لا سيّما أن الأصل عدم السقوط.

فيشبه أن يكون الباعث لصدور هذه الأخبار، هو طغيان أهل الجور، واغتيال السلطان لأموالهم، وتصرّف الظلمة في الأنفال والأخماس.

فالعفو إمّا لأجل أنّ المخالفين إذا كانوا يأخذون منهم فلا يجب عليهم ثانيًا كما في الخراج والزكاة، وإمّا لأجل أنّ ما يتعاملون به معهم في تلك الأموال، ويصل إليهم لا غائلة فيه كما في شراء الزكاة والخراج.

مع أنّ الظاهر من بعض تلك الأخبار أنّ ذلك التحليل كان منهم عند إعواز المال وعدم الاقتدار، وأنّ العفو من صاحب الحقّ من حقّه، مع احتمال حقّ غيره أيضًا حينئذٍ.

ويظهر من بعضها: أنّه كان للخوف والتقيّة، ومن بعضها: أنّ ذلك كان عفوًا من صاحب الحقّ عليه السلام في ماله الذي أتلفه السائل، وعدم تمكّنه من الإيصال.

مع أنّ في مقابل هذه الأخبار أخبارًا مشدّدة لوجوب إيصال حقوقهم والعناية بها، مثل حسنة إبراهيم بن هاشم، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام إذ دخل عليه صالح بن محمّد بن سهل، وكان يتولّى له الوقف بقم، فقال: يا سيدي، اجعلني من عشرة آلاف درهم في حلّ، فإنّي قد أنفقتها، فقال له: «أنت في حلّ».

فلمّا خرج صالح قال أبو جعفر عليه السلام: «أحدهم يثب على أموال آل محمّد وأيتامهم ومساكينهم وأبناء سبيلهم، فيأخذها، ثمّ يجيء، فيقول: اجعلني في حلّ، أتراه ظنّ أنّي أقول: لا أفعل، والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالًا حثيثًا».

أقول: لا ينافي تحليلُه عليه السلام من ماله سؤالَه تعالى منه يوم القيامة عن سوء فعله إذا لم يتب عن ذلك، وكان مقصّرًا.

ولا وجه للقدح في دلالة الرواية بأنّ السائل لعلَّه لم يكن من الشيعة، وأنّ المال مال الوقف، لا مما نحن فيه، فإنّه يدفعه الظهور في الأوّل، وعموم قوله عليه السلام بعد خروج السائل.

وما رواه الكليني، عن محمّد بن يزيد الطبري، قال: كتب رجل من تجّار فارس من بعض موالي أبي الحسن الرضا عليه السلام يسأله الإذن في الخمس، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ الله واسع كريم، ضمِن على العمل الثواب، وعلى الضيق الهمّ، لا يحلّ مالٌ إلا من وجهٍ أحلَّه الله، إنّ الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا، وما نبذله وما نشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته، فلا تزووه عنّا، ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا» الحديث.

وأيضًا عنه، قال: قدم قوم من خراسان على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فسألوه أن يجعلهم في حلّ من الخمس، فقال: «ما أمحل هذا، تمحضونا المودّة بألسنتكم وتزوون عنّا حقّا جعله الله لنا وجعلنا له، وهو الخمس، لا نجعل، لا نجعل، لا نجعل لأحد منكم في حلّ». إلى غير ذلك من الأخبار المؤكَّدة

في أمر الخمس وإيجاب دفعه، وأنّه موجب لتزكية المال وتطهيره، مثل رواية أبي بصير قال، قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسرُ ما يدخل به العبد النار؟ قال، قال: «من أكل من مال اليتيم درهمًا، ونحن اليتيم».

وموثّقة ابن بكير عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّي لآخذ الدرهم، وإنّي لمن أكثر أهل المدينة مالًا، ما أُريد بذلك إلا أن تطهروا». ورواية أبي بصير عن الباقر عليه السلام في حديث، قال: «لا يحلّ لأحدٍ أن يشتري من الخمس شيئًا حتى يصل إلينا حقّنا، إلى غير ذلك من الأخبار»[1] انتهى.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) غنائم الأيام، الميرزا القمي، ج٤، ص٣٨٤.

لماذا شبّه الله تعالى حمل النخلة برؤوس الشياطين؟

السائل: قاسم الحسيني

السؤال: ماذا يقول علماء المسلمين الشيعة الإمامية عن معنى قوله تعالى ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

جاء في تفسير "مجمع البيان" للشيخ الطبرسي: «﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[1] يُسأل عن هذا، فيقال: كيف شَبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين، وهي لا تُعرَف، وإنما يُشبَّه الشيء بما يُعرَف؟ وأجيب عنه بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن رؤوس الشياطين ثمرة، يقال لها الأستن، وإياه عنى النابغة بقوله:

تحيد عن أستَنٍ سود أسافلُه   مثل الإماء اللواتي تحمل الحُزَما

(١) الصافات:٦٥.

وهـذه الشـجرة تشـبه بنـي آدم. قـال الأصمعـي: ويقـال لـه الصـوم، وأنشـد:

موكَّلٌ بشدوف الصوم يرقُبه   من المعارم مهضوم الحشا زَرِمُ

يصـف وعْـلًا يظـن هـذا الشـجر قناصـين، فهـو يرقبـه. والشـدوف: الشـخوص، واحدهـا شـدف.

وثانيهـا: أن الشـيطان جنـس مـن الحيـات، فشـبه سـبحانه طلـع تلـك الشـجرة بـرؤوس تلـك الحيـات. أنشـد الفـراء:

عنجردٌ تحلف حين أحلف   كمثلِ شيطانِ الحماط أعرَف

أي: له عرف، وأنشد المبرد:

وفي البقل إنْ لم يدفعِ اللهُ شرَّه   شياطينُ يعدو بعضُهنَّ على بعض

وثالثهـا: أن قبـح صـور الشـياطين متصـوَّر في النفـوس، ولذلـك يقولـون لمـا يسـتقبحونه جـدًّا: كأنـه شـيطان، فشـبَّه سـبحانه طلْـع هـذه الشـجرة بـما اسـتقرت بشـاعته في قلـوب النـاس. قـال الراجـز:

أبصرتُها تلتهم الثعبانا   شيطانةٌ تزوجت شيطانا

وقال أبو النجم:

الرأس قملٌ كلُّه، وصِئبان   وليس في الرِّجْلين إلا خيطان

وهي التي يفزع منها الشيطان.

وقال امرؤ القيس:

أ تقتلني والمشرفيُّ مضاجعيْ ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

فشبَّه أسنَّته بأنياب الأغوال، ولم يقل أحد: إنه رأى الغول. وهذا قول ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي. وقال الجُبّائي: إن الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النار حتى إنه لو رآهم راءٍ من العباد لاستوحش منهم، فلذلك شبه برؤوسهم[1]. انتهى.

وعن السيد الطباطبائي في تفسيره (الميزان)، قال: «قوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾، الطلع حمل النخلة أو مطلق الشجرة أول ما يبدو، وتشبيه ثمرة الزقوم برؤوس الشياطين بعناية أن الأوهام العامية تصور الشيطان في أقبح صورة كما تصور الملَك في أحسن صورة وأجملها، قال تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2]، وبذلك يندفع ما قيل: إن الشيء إنما يُشبَّه بما يُعرف، ولا معرفة لأحد برؤوس الشياطين»[3].

وجاء في تفسير "الأمثل" للشيخ آية الله ناصر مكارم شيرازي:

---

(١) مجمع البيان، للطبرسي، ج٨، ص٣١١.
(٢) يوسف:٣١.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص١٤٠.

«"الطلع" يقال لأول ما يبدو من حمل النخلة، وله قشر أخضر اللون، وفي داخله فروع بيضاء اللون، تتحول في ما بعد إلى عنقود يحمل التمر. وكلمة "طلع" من مادة "طلوع"، وبهذه المناسبة أُطلق على الثمر في أول ظهوره.

وهنا يُطرح هذا السؤال: هل إن الناس شاهدوا رؤوس الشياطين حتى يشبه القرآن ثمار الزقوم بها؟

المفسرون أعطوا أجوبة متعددة لهذا السؤال:

فقال البعض: إن إحدى معاني كلمة "الشيطان" هي حية كريهة المنظر، شُبهت بها ثمار الزقوم.

وذهب البعض الآخر إلى أنه نوع من النبات ذو شكل قبيح، كما جاء في كتاب "منتهى الإرب" أن "رأس الشيطان" أو "رؤوس الشياطين" نبات.

إلا أن الرأي الأصح، هو:

أن التشبيه هنا استخدم لبيان شدة قباحة ثمار الزقوم وشكلها الباعث على النفور والاشمئزاز؛ لأن الإنسان عندما يشمئز من شيء ترتسم صورة ذلك الشيء في مخيلته بشكل قبيح ورهيب، في ما ترتسم صورة الشيء المحبوب بشكل جميل ووديع في مخيلته. لهذا فإن الناس يرسمون صورة الملائكة بشكل جميل، فيما يرسمون صورة الشياطين

والعفاريت بأقبح صورة، في الوقت الذي لم يرَ أحد منهم الملائكة ولا الشياطين. كما يشاهد استخدام هذا الأمر كثيرًا في المصطلحات اليومية، عندما يقال: الشخص الفلاني كالعفريت، أو إنه يشبه الشيطان.

هذه كلها تشبيهات مبنية على أساس الانعكاسات الذهنية للناس عن مفاهيم مختلفة، وهي تشبيهات لطيفة وحَية»[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٤، ص٣٣٣.

الإرجاع إلى الأفقه والأعلم لا إلى الأصدق في النقل

المستشكل: كريم السوداني

الإشكال: مَنْ قال: إنّ الأئمة عليهم السلام أرجعوا شيعتهم إلى الأصحاب بعنوان أنهم فقهاء، يأخذون الأحكام منهم، فقد يكون إرجاعهم إليهم بعنوان أنهم رواة لأحاديثهم عليهم السلام، فلا تُثبِت هذه الروايات جواز التقليد للفقهاء والأخذ بأقوالهم؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ كلام الإمام الصادق عليه السلام في معتبرة داود بن الحصين واضح؛ إذْ هو إرجاع لمن هو أفقه وأعلم، حيث قال الإمام عليه السلام: «ينظر إلى أفقههما وأعلمهما بأحاديثنا»، ولم يقل عليه السلام: ينظر إلى مَنْ هو أصدق في نقله عنا، حتى يكون المدار على الرواية هنا دون الفقه والاستنباط.

وعند مراجعة الروايات تجد بأنّ الأئمة عليهم السلام قد علّموا أصحابهم

أصول الاستنباط، ولم يكتفوا بإعطائهم الروايات فقط، ومن هنا تجد أنّ هذا الإرجاع لبعض الأصحاب دون غيرهم إنما هو بعنوان أنهم فقهاء يفتون الشيعة على وفق الموازين والضوابط التي وضعها لهم أئمة أهل البيت عليهم السلام لا بعنوان أنهم رواة فقط، ومن هذه الروايات التي يستفاد منها هذا المعنى:

١- تعليم الأئمة عليهم السلام لأصحابهم القواعد الكلية: روى ابن إدريس في مستطرفات السرائر: نقلًا عن كتاب هشام بن سالم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول، وعليكم أن تفرّعوا»[١].

ونحوه جاء في كتاب أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «علينا إلقاء الأصول، وعليكم التفريع»[٢].

وكذلك ما ورد في الفقيه للشيخ الصدوق قدس سره عن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو الحسن الأول عليه السلام: «إذا شككت فابنِ على اليقين. قال: قلت: هذا أصلٌ؟ قال: نعم»[٣].

٢- تعليمهم معاريض كلامهم عليهم السلام حتى يكونوا فقهاء: روى الصدوق بسنده عن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «حديث تَدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون

(١) مستطرفات السرائر، ص٥٧.
(٢) المصدر السابق، ص٥٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٥١.

الرجـل منكـم فقيهًـا حتـى يعـرف معاريـض كلامنـا»[١].

٣- تعريفهـم بكيفيـة عـلاج الأخبـار المتعارضـة بعرضهـا عـلى كتـاب الله والأخـذ بالموافـق للكتـاب والمخالـف للعامـة، كـما هـو التفصيـل المذكور في مقبولـة عمـر بـن حنظلـة المشـهورة.

٤- تعليمهـم طريقـة الاسـتنباط بالتطبيـق: ففـي روايـةٍ أنّ زرارة بـن أعين سـأل الإمـام الباقر عليه السلام: «مـن أيـن علمـت أنّ المسح ببعـض الـرأس وبعـض الرجلـين؟ فضحـك الإمـام عليه السلام وأجابـه: عرفتـه مـن كتـاب الله، فعندمـا قـال الله عـزّ وجـل:" فاغسـلوا وجوهكـم" عرفنـا أنّ الوجـه كلـه ينبغـي أن يُغسَـلَ، وعندمـا قـال: برؤوسـكم " عرفنـا أنّ المسـح ببعـض الـرأس، لمحـلّ البـاء»[٢].

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) معاني الأخبار، ص٢.

(٢) انظر الرواية بتمامها في وسائل الشيعة، ج١، ص٢٩١، ح١.

من هو إمام الناس في الآية ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾؟

السائل: مسلم أبو مصطفى

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. جاء في كتاب الله الكريم قوله عزّ وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، ففسر بعض العلماء كلمة (إمامهم) بـ(كتب أعمالهم)، وبعضهم كابن كثير وغيره فسرها بـ (نبيهم)، وفسرها آخرون بالكتاب الذي أنزل على نبيهم، فمن هو إمام الناس في الآية؟ وما هو التفسير الأصح؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

نقل بعض المفسرين من أهل السُّنة تفسير هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن المراد بها هو إمام الزمان.

روى السيوطي في تفسيره "الدر المنثور"، قال: «أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يوم ندعو كل أناس

بإمامهم، قال: يُدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربّهم وسنّة نبيهم»[١].

وهذا هو المرويّ أيضًا عن ابن عباس، كما ينقل ذلك البغوي في تفسيره للآية الكريمة، قال: «وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾»[٢].

وهذا التفسير هو الموافق للدلالة المطابقية للألفاظ والموافق لما دلت عليه الروايات المتظافرة عند الفريقين، فمنها ما ورد في صحيح مسلم: «مَن مات، وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٣]، وما ورد في مسند أحمد: «مَن مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[٤].

وقد صرح الإيجي بتواتر وجود إمام لكل زمان، جاء في "المواقف": «تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة رسول الله ﷺ على امتناع خلوّ الوقت عن إمام»[٥].

وجاء في "الفِصَل بين المِلَل والنِّحَل" لابن حزم: «أنّ رسول الله ﷺ نصّ على وجوب الإمامة، وأنّه لا يحلّ بقاء ليلة دون بيعة»[٦].

ويتضح مما تقدم أن وجود إمام لكل زمان هو أمرٌ مقطوع به

(١) الدر المنثور، ج٤، ص١٩٤.
(٢) تفسير البغوي، ج٣، ص١٢٦.
(٣) صحيح مسلم، ج٦، ص٢٢.
(٤) مسند أحمد، ج٤، ص٩٦.
(٥) المواقف، ج٣، ص٥٧٥.
(٦) الفصل بين الملل والنحل، ج٤، ص٨٤.

وثابت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا المعنى أيضًا -أي تفسير الآية بإمام الزمان- جاءت الروايات عن أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام، فقد روى البرقي في "المحاسن" بسنده عن يعقوب بن شعيب، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام، ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، فقال: ندعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم، قلت: فيجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قرنه، وعلي عليه السلام في قرنه، والحسن عليه السلام في قرنه، والحسين عليه السلام في قرنه، وكل إمام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم؟ - قال: نعم»[1].

وجاء في "الكافي" في باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان، إمام يدعو إلى الله، وإمام يدعو إلى النار، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، قال المسلمون: يا رسول الله، ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكنْ سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيُكذَّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم، واتبعهم، وصدقهم فهو مني ومعي، وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم، وكذبهم فليس مني ولا معي، وأنا منه بريء»[2].

والحمد لله أوّلا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) المحاسن، ج١، ص١٤٣.

(٢) الكافي، ج١، ص٢١٥.

لا حجة بعد الرسول، فكيف أصبح الأئمة حجج الله؟

المستشكل: أنور المهاجر

الإشكال: الرافضة يفترون على الله الكذب بمروياتهم التي فيها ما فيها من الغلوّ في أئمتهم، فوصل بهم الأمر إلى أنْ جعلوهم حجة الله، وكتابُ الله ينطق بأنْ لا حجة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أ فتأخذون بالأساطير وتتركون كتاب الله؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

اعلم أن المراد من الحجّة هو: البرهان والدليل الّذي يقيمه الله لعباده، ويجعله الأساس في محاسبتهم يوم القيامة إن جاؤوا بخلافه، وحجج الله تعالى كثيرة، لا عدّ ولا حصر لها، وهي مختلفة حسب الموارد والاتّجاهات، فمن حيث تبليغ الشرائع والرسالات والدعوة إلى التوحيد وترك عبادة ما سواه جلّ وعلا، فحججه في ذلك: أنبياؤه

ورسله عليهم السلام، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[(١)].

ومن حيث الأدلّة على وجوده سبحانه، فحججه على عباده: آثاره من مخلوقاته، الّتي تبيّن لنا بدائع صنعته وأعلام حكمته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[(٢)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المسمّاة بـ: "خطبة الأشباح": «وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يُقيمها بمساك قوّته، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته، فظهرت البدائع الّتي أحدثها آثارُ صنعته، وأعلامُ حكمته؛ فصار كلّ ما خلقَ حجّةً له ودليلًا عليه، وإن كان خلقًا صامتًا، فحجّته بالتدبير ناطقة، ودلالتُهُ على المبدع قائمة»[(٣)].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «الصورة الإنسانية هي أكبر حجّة لله على خلقه، وهي الكتاب الّذي كتبه الله بيده»[(٤)].

وقد ورد أنّ العقل حجّة الله على خلقه[(٥)]، وأنّ القرآن حجّة الله على خلقه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «فالقرآن آمرٌ زاجر،

---

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) فصّلت: ٥٣.

(٣) نهج البلاغة، تعليق الشيخ محمّد عبدة، ج١، ص١٦٤.

(٤) التفسير الصافي، ج١، ص٩٢.

(٥) انظر: شرح أُصول الكافي، ج١، ص٣٠٦، والفصول في الأُصول، ج١، ص٣٧٧.

وصامتٌ ناطق، حُجّة الله على خلقه»[١].

فكذلك أهل البيت عليهم السلام حجج الله على خلقه؛ لِما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال في حقّهم: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[٢].

وورد بلفظ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٣].

فقد قرن هذا الحديث -المعروف بحديث الثقلين- أهل البيت بالكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل التمسّك بهما معًا عاصمًا من الضلالة، وأخبر بتلازم أهل البيت والكتاب وعدم افتراقهما إلى يوم القيامة.

فإذا كان التمسّك بالقرآن -الّذي هو حجّة الله على خلقه- هو الأخذ بتعاليمه وأحكامه، فكذلك يكون التمسّك بمَن جُعلوا عِدلًا له وقرناء، وهذا معنى كونهم: "حجج الله".

قال الدهلوي في (التحفة الاثنا عشرية): «هذا الحديث - أي:

(١) نهج البلاغة، تعليق الشيخ محمّد عبدة، ج٢، ص١١١؛ شرح أُصول الكافي، ج١١، ص٦.
(٢) صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج١، ص٤٨٢.
(٣) مختصر صحيح الجامع الصغير، للسيوطي والألباني، رقم الحديث: ١٧٢٦- ٢٤٥٨.

حديث الثقلين- ثابت عند الفريقين: أهل السنّة والشيعة، وقد علم منه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا في المقدّمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسّك بهذين العظيمي القدر، والرجوع إليهما في كلّ أمر، فمن كان مذهبه مخالفًا لهما في الأُمور الشرعية اعتقادًا وعملًا فهو ضالّ، ومذهبه باطل لا يعبأ به، ومن جحد بهما غوى، ووقع في مهاوي الردى»[(١)].

وقال التفتازاني بعد أن ذكر الحديث: «أ لا يُرى أنّه (صلى الله عليه وسلم) قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسّك بهما منقذًا عن الضلالة، ولا معنى للتمسّك بالكتاب إلا الأخذ به بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة»[(٢)].

وقد ورد ذكر أهل البيت عليهم السلام كونهم حجج الله في أحاديث صريحة، روتها بعض كتب أهل السنة، فضلًا عن تواترها عندنا، نذكر منها:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وهذا -يعني عليًّا- حجّة على أُمّتي يوم القيامة»[(٣)].

ومنها، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وعليّ حجّة الله على عباده»[(٤)].

---

(١) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٥٢، والدهلوي هو شاه عبد العزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩) كبير علماء الهند من أهل السنّة في عصره.

(٢) شرح المقاصد، ج٣، ص٥٢٩.

(٣) كنز العمال، ج١١، ص٦٢٠، عن الخطيب، عن أنس؛ وتاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٣٠٩؛ وسبل الهدى والرشاد، ج١١، ص٢٩٢.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٣٠٩؛ وذيل تاريخ بغداد، ج٤، ص٦٦، وفيه: "أنا وأنت حجّة الله تعالى على خلقه يوم القيامة".

وأخرج الطبري الشافعي في كتابيه "ذخائر العقبى" و"الرياض النضرة": «عن أنس بن مالك، أنّه قال: كنت عند النبيّ ﷺ فرأى عليًّا مقبلًا، فقال: يا أنس! قلت: لبيك. قال: هذا المقبل حجّتي على أُمّتي يوم القيامة»[١].

ومنها: ما رواه الخوارزمي الحنفي من كتابه "مقتل الحسين": أنّ النبيّ ﷺ قال للحسين عليه السلام: «أنت حجّة ابن حجّة أخو حجّة أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم»[٢].

وفي هذا المعنى -أي كون أئمة أهل البيت هم حجج الله على خلقه- ينقل ابن كثير في "البداية والنهاية" عن يحيى بن سلامة الشافعي الحصفكي -من أئمّة الفقه والأدب- قوله:

وسائلي عن حبّ أهل البيت هل ... أُقرُّ إعلانًا به أم أجحدُ؟!
هيهات! ممزوج بلحمي ودمي ... حبّهُمُ وهو الهدى والرَّشَدُ
حيدرةٌ والحسنان بعده ... ثمّ عليّ وابنه محمّدُ
وجعفر الصادق وابن جعفر ... موسى ويتلوه عليّ السيّدُ
أعني الرضا ثمّ ابنه محمّد ... ثمّ عليٌّ وابنه المسدَّدُ
والحسن الثاني ويتلو تِلْوه ... محمّد بن الحسن المفتقدُ
أئمّةٌ أكرِمْ بهم أئمّةً ... أسماؤهم مسرودةٌ تطَّردُ
هم حجج الله على عباده ... وهم إليه منهجٌ ومقصدُ[٣].

---

(١) الرياض النضرة، ج٣، ص١٥٩؛ وذخائر العقبى، ص٧٧؛ وجواهر المطالب، ص١٩٣.
(٢) مقتل الحسين، ص١٤٥ وص١٤٦.
(٣) البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٩٨.

ولا أدري لِمَ يستكثر السائل على أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن يكونوا حجج الله تعالى على خلقه، وهم عِدل القرآن الكريم، وقد نصّ على ذلك حديث الثقلين المتضافر المشهور، بعد أن استساغ لقومه وعلماء مذهبه أن يطلقوا هذا اللفظ "حجّة الله" على مَن هو دونهم في العلم والفضل، وممن لا نصّ فيهم، كـ: مالك بن أنس الأصبحي، وأحمد بن حنبل، وأبي عليّ الثقفي، وابن تيمية، وأبي إسحاق الشيرازي، وغيرهم، وإليك الدليل:

قال ابن حجر في "التهذيب": قال حرملة: «عن الشافعي، قال: مالك حجّة الله تعالى على خلقه بعد التابعين»[1].

وروى ابن نقطة الحنبلي في "التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد" قوله: «... حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبان الحبراني، قال: سمعت علي بن المديني يقول: أحمد بن حنبل أبو عبد الله اليوم حجة الله على خلقه»[2].

ويقول شمس الدين الدمشقي الحنبلي (ت ٧٤٤هـ): «قرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضًا على كتاب بيان الدليل على إبطال التحليل لشيخنا، وقد ذكر ترجمته، فقال: من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الإمام العلامة الأوحد البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الإسلام ومفتي الأنام سيد

(١) تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٨.

(٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص١٥٩.

العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ناصر السنة قامع البدعة حجة الله على العباد رادّ أهل الزيغ والعناد أوحد العلماء العاملين آخر المجتهدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني».

وروي الذهبي في "سير أعلام النبلاء" عن أبي العبّاس الزاهد قوله: «كان أبو عليّ (الثقفي) في عصره حجّة الله على خلقه»[١].

ويروي كذلك عن أبي بكر الشاشي قوله: «أبو إسحاق (الشيرازي) حجّة الله على أئمّة العصر»[٢].

وقال السخاوي مترجمًا للبخاري صاحب الصحيح: «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن يودزبة: الإمام العلم حجة الله في أرضه على خلقه أبو عبد الله بن أبي الحسن الحققي مولاهم البخاري صاحب الصحيح»[٣].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٨٢.
(٢) المصدر السابق، ج١٨، ص٤٥٥.
(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ص٤٤٨.

الروايات الخُلقية لا تخضع للتدقيق السندي بخلاف الفقهية

السائل: عبد الله أبو محمد

السؤال: نلحظ أن الفقهاء قديمًا وحديثًا لا يتشدَّدون في أسانيد روايات الأخلاق، ولا يعيرون لها عناية كبرى.. هلا وضحتم لنا سبب ذلك؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

السبب في عدم التدقيق في أسانيد الأحاديث الخُلقية والعمل بها، يرجع لسببين:

السبب الأول: أن طريقة التدقيق في أسانيد الروايات لا يُعمل بها في كل الموارد، وإنما يُعمل بها في الروايات الفقهية لكونها أحكامًا، والحكم لا يمكن نسبته إلى الشارع وادعاء فراغ الذمة بامتثاله إلا بمستندٍ شرعي، وعلى هذا الأساس تخضع الروايات الفقهية للتدقيق السندي.

أما الروايات الخُلقية فالأمر فيها مختلف، فهي لا تخضع للتدقيق

السندي، وإنما يلحظ فيها المضمون، فإن كان مضمونًا قويًّا، ولا يرد عليه إشكال من هنا وهناك، فيؤخذ به من دون حاجة إلى سند، وأما إذا فُرض أنَّ المضمون قد يورث الإشكال ولو من بعيد فلا حاجة إلى نقله، وإنما يؤخذ بما كان مضمونه مقبولًا، وقد يكون المضمون في بعض الأحيان واضحًا مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكرًا للقدرة عليه»[١]، فإن هذا مضمون عالٍ، لا يحتاج إلى سند، وكذلك قوله عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطةً، إن مِتُّم بكوا عليكم، وإن غبتم حنّوا إليكم»[٢].

وفي بحار الأنوار أورد العلامة المجلسي حديثًا عن الإمام الصادق عليه السلام نقلًا عن الشهيد الأول من دون سند، فقال: «مِن خطِّ الشهيد رحمه الله. قيل للصادق عليه السلام: «على ماذا بنيت أمرك؟ فقال: على أربعة أشياء: علمت أن عملي لا يعمله غيري، فاجتهدت، وعلمت أن الله عز وجل مطّلع عليّ، فاستحييت، وعلمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأننت، وعلمت أن آخر أمري الموت، فاستعددت»[٣]، هذا وما شاكله من الروايات الواردة في باب الأخلاق التي قد يكون مضمونها في غاية الوضوح.

السبب الثاني: أن الروايات الخُلقية تتحدث عن جانب عام في النفس البشرية، لا يختص بدين أو ملّة أو مذهب، فالأخلاق موجودة قبل الشريعة، والشريعة جاءت لتتميم مكارمها فقط، ومن هنا فلا

---

(١) شرح نهج البلاغة، البحراني، ج٥، ص٢٤٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٣٠.

حاجة لتجشم عناء البحث في الأسانيد، ويبقى مدار الأخذ بها على موافقة دلالة الحديث للطابع العام للنفس البشرية والموازين العامة للأخلاق والشريعة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



المهدي.. مولود حيّ غائب منتظر

المستشكل: أنور الجنابي

الإشكال: الأحاديث الواردة في (المهدي) صحيحةٌ، وهو لم يولد، ولكنه سيولد، وهو ليس بغائب، وليس له مكان ولا زمان؛ فإذن لا يُسمى بـ(المنتظر)؛ لأننا لا ننتظر أحدًا لنعمل، فنحن نعمل بالقرآن قبل أن يظهر مع عيسى.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إذا أنعمتَ النظر في كلمات علمائكم التي سنوردها تباعًا، وتأملت في ألفاظهم مثل كلمة: (خروج) و(المنتظر) و(ظهوره) و(آخر الزمان)، وجعلتَها بإزاء نصِّ حديثِ الثقلين الثابت المتواتر القاضي بضرورة استمرار وجودِ معصومٍ، لا يفارق الكتاب، ولا يفارقه الكتاب، وجمعتَ بينه وبين الأحاديث الواردة تحت عنوان (خلفائي من بعدي اثنا عشر)، وأنّ هؤلاء الخلفاء هم عليّ والحسن والحسين وتسعة من

صُلْب الحسين عليه السلام ينتهون بالمهدي المنتظر، كما هو نصّ عشرات الروايات من الفريقين، فإنك حتمًا ستنتهي إلى نتيجة تَثبُت لك بالدلالة الالتزاميّة العقليّة، وهي أنّ الإمام الثاني عشر حيٌّ يُرزق، لكنّه غائب مستور عن الخلق لحكمة إلهيّة في ذلك.

فقد جاء عن السفاريني في "لوامع الأنوار البهية" قولُه: «وقد كثرت بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنة، حتى عُدّ من معتقداتهم» إلى أن قال: «وقد روي عمن ذُكر من الصحابة وغير من ذُكر منهم رضي الله عنهم، بروايات متعددة، وعن التابعين مِن بعدهم، ما يفيد مجموعُه العلمَ القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرَّر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السُّنة والجماعة»[1].

ونقل جلالُ الدين السيوطي في كتابه "العرف الوردي في أخبار المهدي"، عن الشوكاني في كتابه "التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجّال والمسيح" قولَه: «والأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر، التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يَصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحرَّرة في الأصول...»[2].

---

(١) لوامع الأنوار البهية، ج٢، ص٨٤.

(٢) العرف الوردي في أخبار المهدي، للسيوطي، ص٤٣.

قال ابن كثير: «والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت، كما دل على ذلك بعض الأحاديث»[١].

وقال ابن القيِّم في "المنار المنيف": «إنه رجلٌ من أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- من ولد الحسين بن علي - رضي الله عنهما - يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا، وأكثر الأحاديث على هذا تدل»[٢].

وقال الشيخ منصور علي ناصف في كتابه "التاج الجامع للأصول": «اشتهر بين العلماء سلفًا وخلفًا أنّه في آخر الزمان، لا بدّ من ظهور رجل من أهل البيت، يسمّى المهدي، يستولي على الممالك الإسلاميّة، ويتبعه المسلمون، ويعدل بينهم، ويؤيّد الدين، وبعده يظهر الدجّال، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله. وقد روى أحاديثَ المهدي جماعةٌ من خيار الصحابة، وخرّجها أكابر المحدّثين، كأبي داود والترمذي، وابن ماجة...، ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها، كابن خلدون وغيره»[٣].

وقد ردَّ علماء أهل السُّنة على منكري خروج الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وبيَّنوا فساد قولهم، ومن هؤلاء العلماء، ابن تيمية في "منهاج السُّنة"، والألباني في "قصة المسيح الدجال"، والشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في رسالته "الرد

(١) النهاية في الفتن والملاحم، ج١، ص٥٦.
(٢) المنار المنيف، ص١٤٨.
(٣) التاج الجامع للأصول، ج٥، ص٣٤١.

على مَن كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي"، والشيخ التويجري في كتابه "الاحتجاج بالأثر على مَن أنكر المهدي المنتظر".

وعقيدة عدم خلوّ كُلّ زمان من معصوم، ليست من مختصات مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما قد يَتوهم بعضهم، بل هناك جملة من أعلام المسلمين، ذهبوا إلى ضرورة وجود معصوم في كُلّ زمان.

قال الفخر الرازي في تفسيره في ذيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]: «إنّه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين. ومتى وجب الكون مع الصادقين فلا بدّ من وجود الصادقين في كُلّ وقت... فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يقال: إنّ المراد بقوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي كونوا على طريقة الصادقين؟ كما أنّ الرجل إذا قال لولده: كن مع الصالحين، لا يفيد إلّا ذلك.

سلَّمنا ذلك، لكنْ نقول: إنّ هذا الأمر كان موجودًا في زمان الرسول فقط، فكان هذا أمرًا بالكون مع الرسول، فلا يدلّ على وجود صادق في سائر الأزمنة.

والجواب عن الأول: أنّ قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أمرٌ بموافقة الصادقين، ونهيٌ عن مفارقتهم، وذلك مشروط بوجود الصادقين. وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب. فدلّت هذه الآية على وجود الصادقين.

(١) التوبة:١١٩.

وقوله: إنّه محمول على أن يكونوا على طريقة الصادقين، فنقول: إنّه عدول عن الظاهر من غير دليل.

قوله: هذا الأمر مختص بزمان رسول الله عليه الصلاة والسلام. قلنا: هذا باطل لوجوه: الأول: أنّه ثبت بالتواتر الظاهر من دين محمد (عليه الصلاة والسلام) أنّ التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة إلى المكلفين إلى قيام القيامة، فكان الأمر في هذا التكليف كذلك.

الثاني: أنّ الصيغة تتناول الأوقات كلها بدليل صحة الاستثناء.

الثالث: لما لم يكن الوقت المعيَّن مذكورًا في لفظ الآية، لم يكن حمل الآية على البعض أولى من حمله على الباقي، فإما أن لا يُحمل على شيء من الأوقات، فيفضي إلى التعطيل، وهو باطل، أو على الكلّ، وهو المطلوب.

الرابع: وهو أنّ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول مَن يصحّ منه أن لا يكون متقيًا، وإنما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالة على أنّ من كان جائز الخطأ، وجب كونه مقتديًا بمن كان واجب العصمة، وهم الذين حكَم اللهُ بكونهم صادقين. فهذا يدلّ على أنّه واجب على جائز الخطأ، كونه مع المعصوم عن الخطأ، حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعًا لجائز الخطأ عن الخطأ. وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كُلّ الأزمان»[(١)].

(١) تفسير الرازي، ج١٦، ص١٦٦-١٦٧.

وقال أيضًا في ذيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنكُمْ﴾[1]: «إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمَر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لا بد أن يكون معصومًا عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصومًا عن الخطأ، كان بتقدير إقدامه على الخطأ، يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرًا بفعل ذلك الخطأ. والخطأُ لكونه خطأً منهيٌّ عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، بالاعتبار الواحد، وإنه محال.

فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كُلّ من أمَر الله بطاعته على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصومًا عن الخطأ. فثبت قطعًا أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بدّ وأن يكون معصومًا»[2].

ومما تقدم يتضح: أن المهدي المنتظر عليه السلام، هو الإمام الثاني عشر، وهو حيٌّ يُرزق، لكنّه غائب مستور عن الخلق لحكمة إلهية اقتضت ذلك، وقد تسالم علماء الإسلام على أنه المنتظر.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) النساء: ٥٩.
(٢) تفسير الرازي، ج١٠، ص١٤٤.

الإمام المهدي عليه السلام قضية رئيسة في عقيدة المسلمين

السائل: جعفر آل فرج

السؤال: الإخوة في مركز الدليل العقائدي، إذا كان هناك شخص لا يعتقد بالإمام المهدي جملةً وتفصيلًا.. لكنْ يصلي، ويصوم، ويزكي، وهو بارٌّ بوالديه وحسنُ الأخلاق... هل هو كافر أو مشرك أو ناقص الإيمان.. تحية لكم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل الجواب عن السؤال لا بد من بيان قيمة الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وحصيلة مردوداته الإيجابية، فإن بيان قيمة مثل هذه الأمور يصحح كثيرًا من التصورات الخاطئة عن أمثال هذه العقائد، خصوصًا إذا عرفنا أن العقائد فواعل في النفوس.

فأول المردودات الإيجابية للاعتقاد بوجود الإمام المهدي هو حصول الامتثال لأمر الله تعالى بهذه العقيدة ككل العقائد، فإن

المفـروض أن النصـوص تحتِّـم الإيـمان بهـذه العقيـدة كـما سـيتضح.

وثـاني المـردودات الإيجابيـة لهـذه العقيـدة، هـو الشـعور بقيـام الحجـة عـلى العبـاد لله تعـالى بوجـود الإمـام؛ إذ لـو حصلـت الكفايـة بغـيره لمـا حصـل الخـلاف بـين المسـلمين.

فإن قلت: إن الخلاف حاصل بالفعل!

فالجـواب: أن ذلـك ناتـج مـن عـدم الالتـزام بإمامتـه، إضافـةً إلى الشـعور بالتسـديد في آراء العلـماء لوجـود الإمـام بـين أظهُرهـم وإن لم يعرفـوه.

وثالـث المـردودات الإيجابيـة الناتجـة عـن هـذه العقيـدة هـو أن وجـود المهـدي لطـفٌ يقـرِّب العبـاد إلى الله تعـالى، لشـعورهم بـأن الله تعـالى يهيـئ الأمـر لإقامـة العـدل ورفـع الظلـم.

فـإن قلـت: إنّ رفـع الظلـم يجـب أن يحـدث بالأسـباب الطبيعيـة مـن قِبَـل النـاس!

فالجـواب: أن ذلـك صحيـح، ولكـنْ إذا تهاونـوا بذلـك فـلا بـد أن يدافـع الله تعـالى عـن الذيـن آمنـوا.

فإن قلت: إن ذلك يحصل بالآخرة!

فالجواب: أن مَثَل ذلك كمَثَلِ إقامة الحدود في الدنيا مع أن المجرم لا يُترك في الآخرة.

وهنـاك فوائـد أخـرى ذكرتْهـا المطـوَّلات، وغطـت أبعـاد المسـألة، يمكـن الرجـوع إليهـا[١].

وبعـد هـذا البيـان نجيـب عـن سـؤالك، فنقـول: إن فكـرة الإمـام المهـدي في نطـاق العقيـدة الدينيـة -بغـض النظـر عـن تفاصيلهـا- هـي موضـع اتفـاق جمهـور المسـلمين، فـإن روايـات المهـدي وانتظـار الفـرج على يديـه وظهـوره ليمـلأ الأرض عـدلًا، وردت في مصـادر جمهـور المسـلمين سُـنة وشـيعة.

فقـد جـاء عـن السـفاريني في "لوامـع الأنـوار البهيـة" قولُـه: «وقـد كثـرت بخروجـه الروايـات، حتـى بلغـت حـد التواتـر المعنـوي، وشـاع ذلـك بـين علـماء السُّـنة، حتـى عُـدّ مـن معتقداتهـم» إلى أن قـال: «وقـد روي عمـن ذُكـر مـن الصحابـة وغـير مـن ذُكـر منهـم رضي الله عنهـم، بروايـات متعـددة، وعـن التابعـين مـن بعدهـم، مـا يفيـد مجموعُـه العلـمَ القطعـي، فالإيـمان بخـروج المهـدي واجـب كـما هـو مقـرر عنـد أهـل العلـم، ومـدوَّن في عقائـد أهـل السُّـنة والجماعـة»[٢].

ونقـل جـلال الديـن السـيوطي في كتابـه "العـرف الـوردي في أخبـار المهـدي"، عـن الشـوكاني في كتابـه "التوضيـح في تواتـر مـا جـاء في المهـدي المنتظـر والدجّـال والمسـيح"، قولـه: «والأحـاديـث في تواتر ما جـاء في المهدي المنتظـر، التـي أمكـن الوقـوف عليهـا، منهـا خمسـون حديثًـا، فيهـا الصحيـح

(١) انظر: هوية التشيع، الشيخ أحمد الوائلي، ص ١٨٣- ص ١٨٤.

(٢) لوامع الأنوار البهية، ج٢، ص٨٤.

والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحرَّرة في الأصول...»[١].

وقال ابن كثير: «والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت، كما دل على ذلك بعض الأحاديث»[٢].

وقال ابن القيم في "المنار المنيف": «إنه رجلٌ من أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- من ولد الحسين بن علي - رضي الله عنهما - يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا، وأكثر الأحاديث على هذا تدل»[٣].

وقال الشيخ منصور علي ناصف في كتابه "التاج الجامع للأصول": «اشتهر بين العلماء سلفًا وخلفًا أنّه في آخر الزمان، لابدّ من ظهور رجل من أهل البيت، يسمّى المهدي، يستولي على الممالك الإسلاميّة، ويتبعه المسلمون، ويعدل بينهم، ويؤيّد الدين، وبعده يظهر الدجّال، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله. وقد روى أحاديث المهدي جماعةٌ من خيار الصحابة، وخرّجها أكابر المحدّثين، كأبي داود والترمذي، وابن ماجة...، ولقد أخطأ من ضعّف

(١) العرف الوردي في أخبار المهدي، للسيوطي، ص٤٣.
(٢) النهاية في الفتن والملاحم، ج١، ص٥٦.
(٣) المنار المنيف، ص١٤٨.

أحاديث المهدي كلّها، كابن خلدون وغيره»(١).

وقد ثبُتت عندنا النصوص المتواترة القطعية، الدالة على إمامة الإمام المهدي المنتظر وغيبته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ومتى ثبت النص، وقام الدليل، فعلى المسلم أن يقبله، ويتعبد به.

وعليه، فالاعتقاد بأن الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الإمام الثاني عشر، وأنه حيٌّ غائب، هذا الاعتقاد هو جزء من مذهبنا، ومن دونه لا يكون المسلم شيعيًّا اثني عشريًّا، بل مسلمًا سنيًّا، أو شيعيًّا زيديًّا، أو إسماعيليًّا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) التاج الجامع للأصول، ج٥، ص٣٤١.

المهدي المنتظر خيرٌ من الشيخين

السائل: سامي القطيفي

السؤال: السلام عليكم.. الإخوة في لجنة الدليل العقائدي، هل يوجد دليل على أن المهدي المنتظر أفضل من الصحابة الخلفاء ومن الذين جاهدوا مع الرسول ﷺ، وهاجروا في سبيل الله؟ انتظر جوابكم بارك الله فيكم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

أورد السيوطي في كتابه "العرف الوردي في أخبار المهدي" عن محمّد بن سيرين، أنّه ذكر فتنة تكون، فقال: «إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتّى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر وعمر، قيل: أ فيأتي خير من أبي بكر وعمر؟ قال: قد كان يفضل على بعض»[1].

وقال ابن أبي شيبة في المصنّف في باب المهدي: «حدّثنا أبو أسامة

(١) العرف الوردي في أخبار المهدي، ص١٤٨.

عن عوف عن محمّد - هو ابن سيرين - قال: «يكون في هذه الأمّة خليفة، لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر»[١]، وعقبه السيوطي بقوله: «قلت: هذا إسناد صحيح»[٢].

وذكر ابن حجر الهيتمي في كتابه "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر" خاتمة في ذكر أمور متفرقة في بيان فضل ومكانة المهدي المنتظر بين الأنبياء والصحابة، فقال: «جاء عن ابن سيرين: المهدي خير من أبي بكر وعمر؛ قد كاد أن يفضل على بعض الأنبياء. وصحّ عنه: يكون في هذه الأمة خليفة لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر»[٣].

فعقيدة ابن سيرين أن المهدي المنتظر أفضل من الشيخين، ووافقه البرزنجي في كتابه (الإشاعة)، حيث قال بعد نقل ما ذكره السيوطي: «وتقدم عن الشيخ في الفتوحات أنه معصوم في حكمه مقتفٍ أثر النبي ﷺ، لا يخطئ أبدًا، ولا شك أن هذا لم يكن في الشيخين وأن الأمور التسعة التي مرت لم تجتمع كلها في إمام من أئمة الدين قبله، فمن هذه الجهات يجوز تفضيله عليهما وإن كان لهما فضل الصحبة ومشاهدة الوحي والسابقة، وغير ذلك، والله أعلم.

قال الشيخ علي القاري في المشرب الوردي في مذهب المهدي: «ومما يدل على أفضليته أن النبي ﷺ سماه خليفة الله، وأبو بكر لا يقال

(١) مصنّف ابن أبي شيبة، ج٨، ص٦٧٩؛ فيض القدير، ج٦، ص٣٦٢.
(٢) العرف الوردي في أخبار المهدي، ص١٤٨.
(٣) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، ص٨٩.

لـه إلا خليفـة رسـول الله»[١].

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) الإشاعة في اشراط الساعة، ص١١٣.

من هم أولو الأمر من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

المستشكل: طالب اللامي

الإشكال: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، فمن هم أولو الأمر في الآية؟ هل هم العلماء أو الحكام، أو الصحابة من الخلفاء أو أئمة الشيعة؟ وكيف يُستدل بالآية على المراد بأحد المذكورين في ما ثبت بالدليل الواضح؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في البدء لا بد أنْ نبين أنّ الآية الكريمة توجّه نداءً للمسلمين بأمورٍ ثلاثةٍ، يجب عليهم امتثالها:

الأول: تبدأ الآية (٥٩، من سورة النساء) بإصدار أمر الطاعة لله سبحانه والإذعان لأوامره ﴿أَطِيعُواْ اللهَ﴾؛ إذ إنّه سبحانه مُوجدُ هذا الكون ومدبّره، وهو سبحانه المنظّم لهذا الكون والمشرّع لقوانينه.

الثاني: تضيف الآية أمرًا ثانيًا، لكنّه من سنخ الأمر الأوّل، وهو: ﴿أَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾، فهذا أمر واضح بطاعة الرسول ﷺ الذي هو مبلّغ رسالة الله سبحانه إلى خلقه وواسطته معهم، والذي أمْرُه أمْرُ الله، ونهْيه نهْي الله، المعصوم من كلّ خطإ وزلل، حتى قال تعالى فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، ولمّا كانت طاعته ﷺ واجبة -لاكتسابها الوجوب من كونه رسولًا لله، وكون الله عزّ وجلّ أمَرَ بطاعته- وجب على الناس الأخذ بما آتاهم والانتهاء عما نهاهم عنه، فقال عزّ ذكره: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2]. وبهذا تكون طاعته طاعةً لله سبحانه، ومخالفته مخالفةً لله، فيقول عزّ من قائل: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[3].

الثالث: إطاعة أولي الأمر، وهو من سنخ الأمر الأوّل والثاني، فقوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، هو أمر بطاعة أُولي الأمر الذين جاء ترتيبهم في الآية بعد الرسول ﷺ، وهذه الفقرة من الآية تقضي بتعيين المرجع الشرعي والحقيقي للمؤمنين بعد رسول الله، وهم أُولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم.

والحاصل أن الآية أمرت بإطاعة الله سبحانه، كما أمرت بإطاعة الرسول وأُولي الأمر، ولكنْ بتكرار الفعل (وأَطيعُوا الرَّسُول)، فعُلمَ

---

(١) النجم: ٣-٤.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النساء: ٨٠.

من ذلك أنّ طبيعة الإطاعتين مختلفة، فإطاعته سبحانه واجبة بالذات، وإطاعة النبي وأُولي الأمر واجبة بإيجاب منه سبحانه وتعالى، وبما أنّه سبحانه أمر بإطاعة أُولي الأمر إطاعة مطلقة، دون أن تكون محصورة بأي قيد أو شرط -أي: أطيعوهم إذا لم يأمروا بالمعصية، ولا تطيعوهم إذا أمروا بها- فإطاعتهم مطلقة، ومنه يحصل القطع واليقين أنّ أولي الأمر -المشار إليهم في الآية والذين وجبت طاعتهم على الإطلاق- معصومون من المعصية والزلل، كالنبي ﷺ؛ لأن الإطاعة المطلقة توجب العصمة.

وبعبارة أُخرى: أنّه سبحانه أوجب طاعتهم على الإطلاق، كما أوجب طاعته، وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب طاعة أحد على الإطلاق إلّا من ثبتت عصمته، وعلم أنّ باطنه كظاهره، وأُمِن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصلٍ في الأمراء، ولا العلماء، جلّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل؛ لأنه محال أن يطاع المختلفون، كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه[1].

ومن هنا نجد أن الفخر الرازي يقول في تفسيره عند بيان عصمة أولي الأمر، هذا التفسير الذي جاء في سياق الطاعة المطلقة الواردة في الآية الكريمة: «إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أَمَر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ وأن

(١) مجمع البيان، ج٣، ص١٠٠.

يكون معصومًا عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصومًا عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرًا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ -لكونه خطأ- منهيٌّ عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصومًا عن الخطأ»[١].

فهذا علَمٌ من أعلام أهل السُّنّة يُذعن لتلك الحقيقة، ويصرّح بدلالة الآية على عصمة أولي الأمر.

فمن هم أولو الأمر الذين ثبتت عصمتهم في الآية؟

هل هم الخلفاء الراشدون؟

والجواب: قال الغزّالي بعد الحكم ببطلان هذا القول ما نصّه: «فإنه من يجوز عليه الغلط والسهو، ولم تثبت عصمته عنه، فلا حجة في قوله، فكيف يُحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ؟! وكيف ندّعي عصمتهم من غير حجة متواترة؟! وكيف يتصوّر عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟! وكيف يختلف المعصومان؟! كيف؟ وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة، فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه؟! فانتفاء الدليل على العصمة، ووقوع الاختلاف

(١) تفسير الرازي، ج١٠، ص٤٤.

بينهـم، وتصريحهـم بجـواز مخالفتهـم فيـه، ثلاثـة أدلـة قاطعـة»[١].

هل هم الأمراء والحكام؟

والجـواب: لنفـترض جـدلًا أن الحـكام والأمـراء هـم ولاة الأمـر في الآيـة، لكـن الإشـكال الـذي يواجـه أصحـاب هـذا الـرأي هـو:

مـاذا لـو أصـدر هـذا الحاكـم (أي وليّ الأمـر) أمـرًا يخالـف شريعـة الله وسـنّة نبيّـه ﷺ، فبـأي الأمريـن نلتـزم؟ فالآيـة في بدايتهـا تقـول: ﴿أَطِيعُـواْ اللـهَ﴾ وهـو أمـر بوجـوب طاعـة الله سـبحانه، وفي ذيلهـا تقـول: ﴿وَأُوْلِـي الأَمْـرِ مِنكُـمْ﴾ وهـو أمـر إلهـي بوجـوب طاعـة أُولي الأمـر مطلقًـا، ولكـنّ وليّ الأمـر أصـدر أمـرًا مخالفًـا لأمـر الله، فبـأي الأمريـن نأخـذ؟ أ نأخـذ بأمـر الله، ونعـصي أُولي الأمـر المخالفـين لأمـر الله؟ فـإن التزمنـا بذلـك فلـن تتحقّـق الطاعـة المفروضـة مـن الله؛ لأنّـه سـبحانه أمرَنـا بطاعـة أُولي الأمـر مطلقًـا.

أو نلتـزم أمـر أُولي الأمـر المخالفـين لأمـر الله، ونعصيـه؟ فإننـا نكـون بذلـك قـد جوّزنـا فعـل المعصيـة بأمـر مـن الله تعـالى؛ لأنّـه أمرنـا بطاعـة أُولي الأمـر، وهـذا مـا لا يقبلـه العقـل!

قـال الزمخـشري -وهـو مـن أعيـان رجـال أهـل السُّـنة- في إبطـال هـذا القـول: «والمـراد بـأولي الأمـر منكـم: أمـراء الحـق؛ لأن أمـراءَ الجـورِ الله ورسـولُه بريئـان منهـم، فـلا يُعطَفـون عـلى الله ورسـوله في وجـوب الطاعـة لهـم، وإنـما يجمـع بـين الله ورسـوله والأمـراء الموافقـين لهـما في إيثـار العـدل

(١) المستصفى، ج١، ص١٣٥.

واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما»[١].

ويقول – أيضًا – في بيان قوله تعالى: ﴿فردّوه إلى الله ورسوله﴾، ما نصه: «أي: ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة. وكيف تلزم طاعة أمراء الجور؟ وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك، وهو أنْ أمَرَهم أولًا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم، وأمَرَهم آخرًا بالرجوع إلى الكتاب والسنة في ما أشكل، وأمراء الجور لا يؤدّون أمانة، ولا يحكمون بعدل، ولا يردّون شيئًا إلى كتاب ولا إلى سُنة، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم، فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله، وأحق أسمائهم: اللصوص المتغلبة»[٢].

وبذلك تبيَّن أنّ تفسير أُولي الأمر بالخلفاء الراشدين أو الأُمراء والحكام أو العلماء، أمر غير صحيح؛ لأنّ الآية دلَّت على عصمتهم، ولا عصمة لهؤلاء، فلا بدّ في التعرُّف عليهم من الرجوع إلى السُّنَّة، وعند الرجوع إليها نجد أحاديث تصرِّح بنزول الآية في عليّ عليه السلام، فقد روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: «أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب»[٣]، وكذا رواها كلٌّ من: أبي حيّان الأندلسي في تفسير البحر المحيط[٤]، ومحمّد صالح الترمذي في المناقب المرتضوية[٥]، والقندوزي

(١) تفسير الزمخشري –الكشاف–، ج١، ص٥٢٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) شواهد التنزيل، ج١، ص١٤٩.
(٤) تفسير البحر المحيط، ج٣، ص٢٧٨.
(٥) المناقب المرتضوية، ص٥٦.

في ينابيع المودّة[١]، والآمرتسري في أرجح المطالب[٢].

هذا من حيث المناسبة على أنّ المقصود بعبارة «أُولي الأمر» هو عليٌّ عليه السلام، فتكون طاعته واجبة كما هي طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فالآية تثبت العصمة لعليّ عليه السلام خصوصًا، ولأولي الأمر عمومًا؛ إذ إنّ الله قرن طاعة الرسول بالطاعة لأولي الأمر، فلو قلنا بجواز أن يأمر الله بالطاعة لغير المعصوم، فإنّ لازِمه جواز الأمر بالطاعة لمن يمكن في حقّه فعل المعصية، ويستحيل أن يأمر الله تعالى، ويرخّص في اتّباع من يجوز في حقّه العصيان؛ لأنه قبيح بحكم العقل، كما هو الحال في حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الاتّفاق على عصمته، حذرًا من انقداح الوثاقة في نقله صلى الله عليه وآله وسلم للأحكام الإلهيّة «فلو جاز الخطأ عليه لم يبقَ وثوقٌ بما تعبّدَنا الله تعالى به وما كلَّفَناه، وذلك يناقض الغرض من التكليف، وهو الانقياد إلى مراد الله تعالى»[٣].

أ لا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله، ومَن أطاع عليًّا فقد أطاعني، ومن عصى عليًّا فقد عصاني»، هذا الحديث أورده الحاكم في المستدرك، وصحّحه، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك[٤].

(١) ينابيع المودّة، ص١١٦.
(٢) أرجح المطالب ص٨٥.
(٣) كشف المراد، للعلاّمة الحلي، ص٣٩١.
(٤) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢١.

ونظيره حديث السفينة: «مَثَل أهل بيتي كَمَثَل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[(١)]، أخرجه مسندًا إلى أبي ذرٍّ.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تنصُّ على عصمة العترة الطاهرة، فإذًا هذه الأحاديث تشكّل قرينة منفصلة على أنّ المراد من أُولي الأمر هم العترة الطاهرة، وعلى ضوء ذلك فآية التطهير، وحديث الثقلين، وحديث السفينة إلى غيرها من الأحاديث الواردة في فضائل العترة الطاهرة كلّها تدل على عصمتهم.

فبضم القرائن آنفة الذِّكْر إلى هذه الآية يتضح المراد من أُولي الأمر الذين أمر الله سبحانه بطاعتهم، وقرن طاعتهم بطاعة الرسول.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥١.

مَن جمَع القرآن وكتبه؟

السائل: حيدر علي

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوجد سؤال قد يختلف فيه البعض، وهو في ما يخص جمْع القرآن الكريم، فمَن جمعه؟ وفي أي وقت؟ وعلى يد مَن؟ فالكثيرون يروون أنه جُمِع في عهد أبي بكر أو عثمان، وهذا ليس من الإنصاف.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين.

إذا رجعنا إلى حديث الثقلين الصحيح الثابت المتواتر المتسالَم عليه المرويّ عن بضعٍ وعشرين صحابيًّا كما في الصواعق المحرقة: «إني تارك أو مخلِّف فيكم الثقلين، أو: الخليفتين. ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].. سنجد النتيجة واضحة كالشمس في

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٣٦.

رابعة النهار، وهي أن هذا القرآن قد جمعه النبي ﷺ في حياته.. فالنبي ﷺ قد أشار في حديث الثقلين إلى قرآن، كان قد جمعه هو في حياته، وهذا خلاف أهل السُّنة الذين يقولون: إنّ الذي جمع القرآن، ورتبه هم الصحابة، فهم لا يقدرون على تعيين القرآن الوارد في حديث الثقلين، والذي أراد النبي ﷺ من أمته أن تتمسك به، فهل القرآن الذي قصده النبي ﷺ هو الذي جمعه عثمان أو الذي جمعته عائشة أو الذي جمعه ابن مسعود أو الذي جمعه أبي بن كعب أو...؟

وقد تعرض السيد الخوئي قدس سره في كتابه "البيان في تفسير القرآن" إلى هذه المسألة بعد أن ذكر عدة روايات تشير إلى أن جمع القرآن كان بعد وفاة النبي ﷺ، أي في عهد الخلفاء من بعده، قال قدس سره: «هذه هي أهم الروايات التي وردت في كيفية جمع القرآن، وهي - مع أنها أخبار آحاد لا تفيدنا علمًا - مخدوشة من جهات شتى» ثم ذكر أبرز جهات الخدش، وهي أنّ هذه الروايات يناقض بعضها بعضًا، حيث قال قدس سره: «إنها متناقضة في أنفسها فلا يمكن الاعتماد على شيء منها... وظاهر الرواية الثانية أن الجمع كان في زمن عثمان، وصريح الروايات الأولى، والثالثة، والرابعة، وظاهر البعض الآخر أنه كان في زمان أبي بكر، وصريح الروايتين السابعة، والثانية عشرة أنه كان في زمن عمر».

ثم خلص قدس سره إلى القول: «إن القرآن كان قد جُمِع، وكُتِب على عهد رسول الله ﷺ، فقد روى جماعةٌ، منهم ابن أبي شيبة وأحمد بن

حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي عن ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان، ينزل عليه السورة ذات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما أُنزل بالمدينة، وكانت "براءة" من آخر القرآن نزولًا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننتُ أنها منها، وقُبِض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: "بسم الله الرحمن الرحيم" ووضعتهما في السبع الطوال[١]، وروى الطبراني، وابن عساكر عن الشعبي، قال: «جَمَع القرآنَ على عهد رسول الله - ص - ستةٌ من الأنصار: أُبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث»[٢]، وروى قتادة، قال: «سألت أنس بن مالك: مَن جَمَع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعةٌ، كلهم من الأنصار: أُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[٣]، وروى مسروق: ذَكَر عبدُ الله

---

(١) منتخب كنز العمال ج ٢ ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢.

(٣) صحيح البخاري، باب القرّاء من أصحاب النبي - ص - ج ٦ ص ٢٠٢.

بن عمرو عبدَ الله بن مسعود، فقال: «لا أزال أحبه، سمعت النبي -ص- يقول: خذوا القرآن من أربعةٍ: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبيٍّ بن كعب»[1]، وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر، قال: "جمعتُ القرآن، فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي -ص- فقال: اقرأه في شهر... "[2]»[3].

ودعوى وجود روايات تصرِّح بأن القرآن جُمِع على عهد أبي بكر، ردها السيد الخوئي قدس سره بقوله: «إن هذه الروايات - أي روايات جمع أبي بكر للقرآن - مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أن القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر، فإنها تقول: إن إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصرًا بشهادة شاهدين، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين، وعلى هذا فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضًا، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبينة [وهي قول شاهدين]، مع القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، أ فلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواترًا سببًا للقطع بكذب هذه الروايات أجمع؟ ومن الغريب أن بعضهم كابن حجر فسَّر الشاهدين في الروايات بالكتابة والحفظ. وفي ظني أن الذي حمله على ارتكاب هذا التفسير هو ما ذكرناه من لزوم التواتر في القرآن. وعلى كل حال فهذا التفسير

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإتقان، النوع ٢٠، ج ١ ص ١٢٤.

(٣) البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٩-٢٥١.

واضـح الفسـاد مـن جهـات:

أمـا أولًا: فلمخالفتـه صريـح تلـك الروايـات في جمـع القـرآن، وقـد سـمعتها.

وأمـا ثانيًـا: فـلأن هـذا التفسـير يلزمـه أنهـم لم يكتبـوا مـا ثبـت أنـه مـن القـرآن بالتواتـر، إذا لم يكـن مكتوبًـا عنـد أحـد، ومعنـى ذلـك أنهـم أسـقطوا مـن القـرآن مـا ثبـت بالتواتـر أنـه مـن القـرآن[١].

وأمـا ثالثًـا: فـلأنّ الكتابـة والحفـظ لا يُحتـاج إليهـما إذا كان مـا يُـراد كتابتـه متواتـرًا، وهمـا لا يُثبتـان كونـه مـن القـرآن، إذا لم يكـن متواتـرًا. وعـلى كل حـال فـلا فائـدة في جعلهـما شرطًـا في جمـع القـرآن. وعـلى الجملـة، لا بـدّ مـن طـرح هـذه الروايـات؛ لأنهـا تـدل عـلى ثبـوت القـرآن بغـير التواتـر، وقـد ثبـت بطـلان ذلـك بإجمـاع المسـلمين»[٢].

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) الإتقان، النوع ١٨، ص ١٠٠.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، ص٢٥٦.

التمسك بالثقلين هو الإسلام بعينه

السائل: عامر عبد الله

السؤال: وجَّه إليَّ بعضٌ من إخواننا أهل السنة هذا السؤال: ماذا تعني كلمة شيعة؟ ولماذا هم ليسوا مذهبًا من المذاهب الإسلامية الأربعة، وطالما لم يكونوا منها فهو مؤشر على عدم كونهم من الإسلام.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين.

نظرًا لأهمية السؤال، لا بد من مقدمة مختصرة ينبني عليها الجواب، وهي:

إنّ طاعة النبي ﷺ فرضٌ محتَّم على الناس، كطاعة الله تعالى، وهذا من البداهة بمكان، وطاعته لا تتحقق إلا باتباع شرعته، وتطبيق مبادئه الخالدة، وها هو القرآن الكريم يحرض الناس على طاعة النبي ﷺ، ويحذر من مغبة عصيانه ومخالفته، فيقول سبحانه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ**

الْعِقَابِ﴾[١]. ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[٢]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٣].

وإذا ثبت ذلك، وجب على كلّ الأُمّة الأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآيات قائمًا مقام قول الله عزّ وجلّ، وإذا رجعنا إلى السنة الشريفة وجدنا حديثًا صحيحًا ثابتًا متواترًا متسالمًا عليه مرويًّا عن بضع وعشرين صحابيًّا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصرح فيه قائلًا: «إني تارك أو مخلّف فيكم الثقلين، أو: الخليفتين. ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٤]، وفي لفظ آخر: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، صحّحه الألباني[٥].

فانصاع لأمْرِ الله تعالى وأمْرِ رسوله الكريم فريقٌ من المسلمين، فتمسكوا بالثقلين "كتاب الله وعترة النبي"، وهم الشيعة الإمامية الاثنا

(١) الحشر:٧.
(٢) الأحزاب:٣٦.
(٣) النساء:١٣-١٤.
(٤) الصواعق المحرقة، ص١٣٦.
(٥) صحيح الترمذي، للألباني، ج٣، ص٢٢٦.

عشرية، وهذا التمسك بـ"الكتاب والعترة" ليس مذهبًا إسلاميًا، بل هو الإسلام بعينه.

ونضم هذه المقدمة إلى الجواب، فنقول:

الشيعة في اللغة بمعنى التابع، وفي الاصطلاح تطلق هذه اللفظة أو التسمية على فريق من المسلمين، يعتقدون بأن قيادة الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي من حق عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، الإمام علي عليه السلام وأبنائه المعصومين.

والحريّ صرف عنان القلم عن الخوض في بيان من هم الشيعة، إلى نقل كلمات أحد المستبصرين، وهو الشيخ محمد مرعي الأنطاكي قاضي القضاة السوري الذي ترك المذهب السني الشافعي، والتحق بركب العترة الطاهرة، وعلى إثر ذلك ألّف كتابه (لماذا اخترت مذهب أهل البيت) الذي ذاع صيته في الآفاق، وهو أحرى بالإجابة عن سؤال: من هم الشيعة؟

فيقول: «هم الطائفة الحقة المحقة، والخيرة من خلق الله، والفرقة الناجية التي تمسك بولاء الله ورسوله، والأئمة الأطهار من أهل بيته عليهم صلوات الله، وعرفتْ حق أئمتها حق المعرفة حسب الإمكان، وعرفتْ من عاداهم، فأعطتْ كلًّا منهم حقه. وهم يعبدون الله وحده لا شريك له ولا مثيل. ويؤمنون برسالة النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وبولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وبقية

الأئمة الأحد عشر: الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، الإمام الحسين الشهيد بكربلاء عليه السلام الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، الإمام الحسن الزكي العسكري عليه السلام، الإمام الحجة المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسيظهر في آخر الزمان، ويملاء الأرض عدلًا وقسطًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا»[١].

أما غير الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فتركوا التمسك بعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأخذ عنهم، وتمسكوا بأربعة مذاهب مستحدثة أفتوا بحرمة اتباع غيرها، الأمر الذي ما أنزل الله به من سلطان، قال المقريزي: «ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة، وهم شافعيّ ومالكيّ وحنفيّ وحنبليّ. فاستمرّ ذلك من سنة خمسٍ وستين وستمائة، حتى لم يبقَ في مجموع أمصار الإسلام مذهبٌ، يُعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعريّ، وعُمِلتْ لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والرّبَط في سائر ممالك الإسلام، وعُوديَ من تمذهب بغيرها، وأنكر عليه، ولم يولّ قاضٍ، ولا قُبلت شهادة أحد، ولا قدّم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدًا لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المدّة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها، والعمل على هذا

(١) لماذا اخترت مذهب أهل البيت، ص٤١- ٤٢.

إلى اليـوم»[١].

وهـا هـو ابـن القيـم ينعى مذاهـب الصحابـة لانحصارهـا في الأربعـة، فيقـول: «ماتـت مذاهـب أصحـاب رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - ومذاهـب التابعـين وتابعيهـم وسـائر أئمـة الإسـلام، وبطلـت جملـة إلا مذاهـب أربعـة أنفـس فقـط مـن بـين سـائر الأئمـة والفقهـاء، وهـل قـال ذلـك أحـد مـن الأئمـة أو دعـا إليـه أو دلـت عليـه لفظـة واحـدة مـن كلامـه عليـه؟ والـذي أوجبـه الله تعـالى ورسـوله عـلى الصحابـة والتابعـين وتابعيهـم هـو الـذي أوجبـه عـلى مَـن بعدَهـم إلى يـوم القيامـة، لا يختلـف الواجـب، ولا يتبـدل، وإن اختلفـت كيفيتـه أو قـدره باختـلاف القـدرة والعجـز والزمـان والمكان والحـال فذلـك أيضًـا تابـعٌ لمـا أوجبـه الله ورسـوله، ومـن صحـح للعامـي مذهبًـا، قـال: هـو قـد اعتقـد أن هـذا المذهـب الـذي انتسـب إليـه هـو الحـق، فعليـه الوفـاء بموجـب اعتقـاده، وهـذا الـذي قالـه هـؤلاء لـو صـح للـزم منـه تحريـم اسـتفتاء أهـل غـير المذهـب الـذي انتسـب إليـه، وتحريـم تمذهبـه بمذهـب نظـير إمامـه أو أرجـح منـه، أو غـير ذلـك مـن اللـوازم التـي يـدل فسـادها عـلى فسـاد ملزوماتهـا، بـل يلـزم منـه أنـه إذا رأى نـص رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - أو قـول خلفائـه الأربعـة مـع غـير إمامـه أن يـترك النـص وأقـوال الصحابـة، ويقـدم عليهـا قـول مـن انتسـب إليـه»[٢].

وإذا مـا أردت معرفـة سـبب الانحصـار بالمذاهـب الأربعـة، والاطـلاع عـلى التبريـر الـذي لا يسـتند إلى نـص شرعـي، فاقـرأ معـي مـا قالـه ابـن

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، ص١٦٧.
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٤، ص٢٠٢.

الصلاح في "نهاية السؤول" لترى العجب من بيان السبب، حيث يقول: «إنه يتعين تقليد الأئمة الأربعة دون غيرهم؛ لأن مذاهب الأربعة قد انتشرت، وعلم تقييد مطلقها، وتخصيص عامها، ونشرت فروعها؛ بخلاف مذهب غيرهم»[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) نهاية السؤول في شرح منهاج الأصول، ج٤، ص٦٣٢.

علي عليه السلام الفاروق بين الحق والباطل شرعًا وتكوينًا

المستشكل: المغربيّ العربي

الإشكال: لماذا تتهمون عباد الله بأنهم أولاد زنا، وأنهم منافقون لمجرد أنهم لا يحبون عليًّا رضي الله عنه أو أنهم حاربوه، فهم جميعهم من الصحابة، وأُمرنا بالكف عما شجَر بينهم، ومثل هاته المسائل لا يبتّ بها الإ الشرع، فكيف ساغ لكم اتهام الناس بهذا الحكم الذي تنحصر رواياته في كافيكم المليء بالبدع، فاتقوا الله.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن كنتَ تدعي أن الشيعة الإمامية الاثني عشرية تفرّدت بهذا الحكم على مبغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأنت واهمٌ، فهذا الحكم مرويٌّ في مصادر علماء أهل السُّنة، والرواياتُ الواردة فيها كثيرةٌ في العدد، وإليك شطرًا منها:

جاء في أسنى المطالب للحافظ الجزري، وشرح النهج لابن أبي الحديد، عن أبي سعيد الخدري، قال: «كنا معشرَ الأنصار نبور [أي: نختبر] أولادَنا بحبِّهم عليًّا رضي الله عنه، فإذا وُلد فينا مولودٌ، فلم يحبّه عرفنا أنه ليس منا»[1].

وعن عبادة بن الصامت: «كنا نبور [أي: نختبر] أولادنا بحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإذا رأينا أحدهم لا يحب عليًّا بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشدة»[2].

وقال الحافظ الجزري بعد ذكر هذا الحديث: «وهذا مشهورٌ من قديم وإلى اليوم أنه ما يبغض عليًّا رضي الله عنه إلا ولد الزنا»[3].

وأخرج الحافظ الحسن بن علي العدوي، قال: حدثنا أحمد بن عبدة الضبي عن أبي عيينة عن ابن الزبير عن جابر، قال: أمرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نعرض أولادنا على حبِّ علي بن أبي طالب. رجالُه رجال الصحيحين، كلُهم ثقات.

وأخرج الحافظ ابن مردويه عن أحمد بن محمد النيسابوري عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أحمد، قال: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: قال أنس بن مالك: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) أسنى المطالب للحفاظ الجزري، ص٨؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج١، ص٣٧٣.
(٢) أسنى المطالب ص٨، نهاية ابن الأثير، ج١، ص١١٨.
(٣) أسنى المطالب، ص٨.

وأخرج ابن مردويه عن أنس في حديث: كان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه ثم يقف على طريق عليّ رضي الله عنه، فإذا نظر إليه أومأ بإصبَعه: يا بنيّ تحب هذا الرجل؟! فإن قال: نعم. قبله. وإن قال: لا، خرق به الأرض وقال له: الحق بأمك.

وأخرج الحافظ الطبري في كتاب الولاية بإسناده عن علي عليه السلام أنه قال: «لا يحبني ثلاثة: ولد الزنا. ومنافق. ورجلٌ حمَلت به أمه في بعض حيضها».

وأخرج الحافظ الدارَقطني وشيخ الإسلام الحموي في فرائده بإسنادهما عن أنس مرفوعًا، قال: «إذا كان يوم القيامة نُصب لي منبرٌ، ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش: أين محمد؟ فأجيب: فيقال لي: إرق. فأكون أعلاه، ثم ينادي الثانية: أين علي؟ فيكون دوني بمرقاة، فيعلم جميع الخلائق أن محمدًا سيد المرسلين، وأن عليًّا سيد المؤمنين: قال أنس: فقام إليه رجل، فقال: يا رسول الله: من يبغض عليًّا بعد؟! فقال: يا أخا الأنصار، لا يبغضه من قريش إلا سفحي، ولا من الأنصار إلا يهودي، ولا من العرب إلا دعيّ، ولا من سائر الناس إلا شقيّ».

وفي الرياض النضرة، عن أبي بكر، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: معشر المسلمين! أنا سِلمٌ لمن سالم أهل الخيمة، حربٌ لمن حاربهم، وليٌّ لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجَدّ

طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقيُّ الجَدّ رديء المولد»[١].

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي، عن أبي مريم الأنصاري عن عليّ عليه السلام قال: «لا يحبني كافر ولا ولد زنا»[٢].

وأخرج ابن عدي والبيهقي وأبو الشيخ والديلمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من لم يعرف عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى الثلاث: إما منافق. وإما ولد زانية. وإما امرؤ حمَلت به أمه في غير طُهر[٣].

وروى المسعودي في "مروج الذهب" عن كتاب الأخبار لأبي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي بإسناده عن العباس بن عبد المطلب، قال: «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل علي بن أبي طالب، فلما رآه أسفر في وجهه، فقلت: يا رسول الله! إنك لتسفر في وجه هذا الغلام. فقال: يا عمَّ رسولِ اللهِ، واللهِ لَلهُ أشدُّ حبًّا له مني، ولم يكن نبيٌّ إلا وذريته الباقية بعده من صُلبه، وإن ذريتي بعدي من صُلب هذا، إنه إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم إلا هذا وشيعته، فإنهم يُدعَون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم»[٤].

وعن ابن عباس، قال: «قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيت

---

(١) الرياض النضرة، للحافظ محب الدين الطبري، ج٢، ص١٨٩.
(٢) شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٧٣.
(٣) الصواعق لابن حجر ص ١٠٣، ١٣٩، الفصول المهمة ١١، الشرف المؤبد ص ١٠٣ وليس فيه كلمة: والعرب.
(٤) مروج الذهب، ج٢، ص٥١.

النبي ﷺ عند الصفا، وهو مقبل على شخص في صورة الفيل، وهو يلعنه، فقلت: ومن هذا الذي يلعنه رسول الله؟! قال: هذا الشيطان الرجيم. فقلت: والله ـ يا عدو الله ـ لأقتلنّك، ولأُريحنّ الأمة منك. قال: والله ما هذا جزائي منك. قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله؟! قال: والله ما أبغضك أحدٌ قط إلا شركتُ أباه في رحِم أمه»(١).

وروى شيخ الإسلام الحموي في فرائده في الباب الثاني والعشرين من طريق أبي الحسن الواحدي بإسناده، والزرندي في (نظم درر السمطين) عن الربيع بن سليمان، قال: «قيل للشافعي: إن قومًا لا يصبرون على سماع فضيلةٍ لأهل البيت، فإذا أراد أحدٌ أنْ يذكرها يقولون: هذا رافضيٌّ، قال: فأنشأ الشافعي يقول:

إذا في مجلسٍ ذكروا عليًّا وسبطَيه وفاطمةَ الزكية

فأجرى بعضُهم ذكرى سواهم فأيقنْ أنه لسلقلقية

إذا ذكروا عليًّا أو بنيه تشاغلَ بالروايات الدنيّة

وقال: تجاوزا يا قوم! هذا فهذا من حديث الرافضيّة

برئتُ إلى المهيمن من أناسٍ يرون الرفضَ حبَّ الفاطمية

على آل الرسول صلاةُ ربي ولعنتُه لتلك الجاهلية

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه، ج٢، ص٢٩٠، والكنجي في الكفاية، ص٢١، عن أربع من مشايخه.

وقد نظم هذه الآثار كثيرٌ من الشعراء قديمًا وحديثًا، يضيق المجال بذكر شعرهم، ومنه قول الصاحب بن عباد:

بحب عليٍّ تزول الشكوك وتصفو النفوسُ ويزكو النِّجار

فمهما رأيــــتَ محبًّا لــه فثَمَّ العـــــلاءُ وثــمَّ الفَخــار

ومهما رأيــتَ بغيضًا لــه ففي أصــله نســبٌ مستعــار

فمهــد على نصبه عــذره فحيطـــانُ دارِ أبيــه قِصــار[1]

وأنت كما ترى أن هذه رواياتٌ سُنّية، تصرِّح بأن مبغض عليّ عليه السلام هو ابن زنا، كما روى مسلم في صحيحه أن مبغض عليّ منافق، فقد روى في صحيحه عن عليّ عليه السلام أنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[2].

فالحب يقابله البغض، والحرب من أبرز مصاديق البغض، فالحكم ينطبق على المبغض غير المحارب لعليّ عليه السلام، فضلًا عن المحارب له.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) يُنظر فيما ذكرنا آنفًا كتاب الغدير للعلامة الأميني ج ٤ ص٣٢٢.

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص٨٦.

المحتويات


تم بحمد الله